

مَجْزِئَةُ الْأُمِّيَّةِ فِي الْعِرَاقِ بَيْنَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ
مِنْ الْكُتُبِ حَتَّى الْجَمَلَةِ الْوَطَنِيَّةِ شَامِلَةً

عبد الجبار علوان حسين النايلة

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

الامية : تعريفها ، مضارها ، اهتمام حكومة الثورة بها

الامي في اللغة : الذي لا يكتب ولا يقرأ ، منسوب إلى ما عليه جبلته امّه ، لان الكتابة مكتسبة ، وفي القرآن الكريم : (ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا اماني) . وقيل للرسول (ص) أمي ، لأن امة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب (١) .
وفي (قاموس التربية) : « ان الامي هو الشخص الذي بلغ العاشرة من عمره أو تجاوزها وهو لا يعرف القراءة والكتابة » (٢) .

وتعنى الدول المتقدمة بالتعليم ونشره بين افراد شعبها ، ويعد من مسؤولياتها التي ينبغي عليها القيام بها ، وقد عرف هذا منذ القديم حيث « ضرب الاغريق مثلين رائعين من ائمة علاقة الدولة بالتعليم ، فاتبع الاسبارطيون نظرية سيطرة الدولة على شؤونها ، في حين اتبع الاثينيون (سياسة النسيب) وحسبوا التلامي عملاً من اعمال الناس لارضية من وظائف الدولة ، واتخذت هاتان النظريتان مظهرًا فلسفيًا في السياسة والتعليم ، وتجلتا في كتابات افلاطون وارسطو . فأعطى افلاطون في (جمهورية) التربية منزلة خطيرة ، وحسبها اولى القضايا التي ينبغي ان تنصرف اليها الدولة » (٣) .
وأقترح في كتابه (القوانين) ان يكون تعليم البنين والبنات الزامياً (٤) .
وكان موحد امتنا وباعث مجدها محمد (ص) يعرف اهمية العلم والتعليم في مستقبل الدولة العربية الاسلامية ، حينما أمر أن يفدي كل اسير من المشركين نفسه بأن يعلم عشرة من صبيان المسلمين وحينما جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وفي ١٠/١٢/١٩٤٨ أصدرت لجنة

-
- (١) ينظر لسان العرب (امم) ١٢ / ٣٤ - ٣٥ .
(٢) د. احمد حسن الرحيم ، محو الامية في التراث العربي . مجلة المعرفة العدد الثاني ص ٤٦ .
(٣) و (٤) حسن الدجيلي ، الدولة والتعليم ١/٢ .

حقوق الانسان في هيئة الامم المتحدة ، وثيقة الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وقد نصت المادة السادسة والعشرون منها على ان لكل شخص الحق في التعلم ، ويجب ان يكون التعليم الاولي الزامياً (١). ولذلك كان أحد أهداف (اليونيسكو) نشر التعليم ومحو الامية بين الدول النامية ، وكان من نشاطها مؤتمر الاسكندرية عام ١٩٦٤ (٢) الذي يعد « خير منطلق لتحويل الاهتمام في اتجاه هذا الجانب الذي ظلّ مهملًا لفترة من الزمن » (٣) ومما جاء في (ميثاق الاسكندرية) الذي أصدره المؤتمر الاقليمي لتخطيط وتنظيم برامج محو الامية في البلاد العربية :

« ان القضاء على الامية يعني حداً ادنى من الثقافة يمكن المواطن العربي من أن يتفاعل ببطنة مع مجتمعه المحلي الصغير والمجتمع العالمي الأكبر ، كما أن معرفة القراءة والكتابة تسدّ ما بين الافراد من فجوات وتقرب العرب وتهيء السيل كي يتلاقوا فتماسك أفكارهم ومشاعرهم وتتوحد اهدافهم ازاء القضايا العربية ، كما أن الميثاق نص على أن تتمتع المرأة العربية بحقوقها الواضح الصريح في التعليم وينبغي ان تهيأ لها جميع الفرص التي تمكنها من ممارسة هذا الحق » (٤) لكي يأخذ نصف الامة العربية مكانه اللائق في المجتمع ويساهم في عمليات البناء .

إن الامية عقبة كأداء في سبيل تقدم اية أمة بحيث تمنعها عن القيام بدورها الكامل في عمليات التنمية ، فالامي عضو مشلول في جسم الامة . وقد « اثبتت الدراسة التي قامت بها نالا كودن (Nala Gouden) في الهند ان نسبة الزيادة في دخل غير الاميين الى دخل الاميين تصل إلى ١٥,٩٪ ، كما اسفرت بعض الدراسات في بعض البلاد النامية ان هناك علاقة بين الامية

(١) مجلة المعرفة العدد الاول ص ٤٢ .

(٢) انعقد في الاسكندرية في مصر للفترة من ١٠ - ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤ .

(٣) عايف حبيب وجماعته ، التجربة العراقية لاعداد وتدريب كوادر محو الامية ص ٤٢٣ .

(٤) علي عبد الطالب ، مشكلة الامية في الاقطار النامية ص ١٤ باختصار .

وارتفاع نسبة الوقت الضائع نتيجة الغياب والتأخير بلغت أكثر من ٢٥ ٪ في بعض الصناعات من جملة وقت العمال ، وان نسبة الفاقد نتيجة الاهمال في الآلة بلغت ١٨ ٪ ، وان نسبة الوقت الضائع نتيجة الحوادث واصابات العمل أكثر من ٨ ٪ وكلها من الامور التي تؤدي الى انخفاض انتاجية العمال وترتبط بارتفاع نسبة الامية بين العمال « (١) .

وقد كان الصناعيون مهتمين فيما مضى بالآلة وبطريقة الانتاج وتحسينه ، ولم يكونوا يهتمون بالعامل ولا بتعليمه ثم ادركوا اهمية تعليم العامل لتمكينه من تأدية عمله على الوجه الصحيح لأن العامل هو العنصر المهم في عملية الانتاج . وما قلناه عن العمال يصدق على الفلاح والكاسب وكل فرد في المجتمع من ذكر او انثى ، فالامية لها علاقة جدلية بالتخلف في كافة الميادين ، فقلة الانتاج في الزراعة والصناعة وانخفاض المستوى الصحي وارتفاع نسبة الوفيات وانتشار الفقر لها اتصال وثيق بالامية ، كما ان محو الامية له علاقة وثيقة بتقدم المجتمع في كافة الميادين ايضاً .

الامية في اي مجتمع ، ظاهرة اجتماعية مركبة لها صورتان : الاولى - الامية الابدائية : وتعني الجهل بمهارات القراءة والكتابة والحساب . والثانية - الامية الحضارية : وتعني ممارسة اساليب وفعاليات واتجاهات وعلاقات ونظم اجتماعية وحضارية متخلفة ، تعرقل عملية التكيف الاجتماعي للتغيرات التمدنية المعاصرة والحضرية الجديدة ... والعلاقة بين الامية الابدائية والامية الحضارية علاقة جدلية فكل منهما تؤثر وتتأثر بالآخري ، واحدهما دليل لوجود الآخري ، فهما وجهان لعملة واحدة « . (٢) .

ان التعليم للانسان مفتاح لكل تنمية وتطوير. ومحو الامية يزيد من الانسان الواعي المدرك لقضاياها عن طريق المعرفة ، والمعرفة الحققة تأتي عن طريق الكلمة المقروءة قبل المسموعة والمشهد المرئي ليستطيع مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية في الوقت الذي يجعل الدول اليوم مسألة التنمية في رأس مشاغلها علماً بأن النمو

(١) مشكلات التعليم الابتدائي وانعكاساتها على مشكلة الامية في الوطن العربي ص ٢١ .

(٢) د. علاء الدين جاسم . انماط الحياة الاجتماعية في العراق بين الامية الابدائية والامية الحضارية

ليس مسألة اقتصادية فحسب وانما مسألة حضارية شاملة (١) .

يعاني العراق من وطأة ثقيلة تتمثل في الاعداد الكبيرة من الاميين الذين يكونون غالبية المجتمع العراقي . إذ تدل الاحصائيات على أن ٧ و ٨١٪ من مجموع سكان العراق الذين تبلغ أعمارهم خمس سنوات فأكثرهم من الاميين ، وتظهر هذه المشكلة أكثر وضوحاً إذا أدركنا أن هذه النسبة تبلغ ٩٢,٥٪ في الريف و ٣ , ٦٥ في المدن ، كما أن هذه النسبة تزداد عند الاناث ، فتبلغ ٩١,٦٪ من مجموع الاناث و ٧٢,٤٪ من مجموع الذكور (٢) . ومن هنا ندرك عظم المهمة الملقاة على عاتق الحكومة والمنظمات الجماهيرية في محو هذه الوصمة التي تشوه وجه العراق الحر . فلا تقدم ولا نهوض ولا تغير جذري نحو التقدم مالم يتم القضاء على الامية ، وقد أشار إلى هذا صراحة ميثاق العمل الوطني الذي أعلنه الرئيس المناضل أحمد حسن البكر في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٧١ (٣) . كما أكد الميثاق على أن هذه الحملة لا تستطيع أن تقوم بها جهة أو جماعة معينة وانما هي مهمة عسيرة « تتحمل المنظمات الشعبية وفصائل الطلبة والمثقفين ، مسؤولية المساهمة الواسعة النطاق لانجازها بأسرع وقت » (٤) . لقد ادركت حكومة ثورة السابع عشر من تموز مخاطر هذا الداء الوييل وأثره على مسيرة البناء الشامل والتقدم المتواصل وبناء المجتمع الأمثل ، فجسد ادراك الثورة لعظم هذه المشكلة ماجاء في التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي حيث قال : « تعتبر الامية المتفشية بين أوساط واسعة جداً من المواطنين وبخاصة في الريف من أكبر وأخطر معوقات التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في البلاد ، ولا يمكن رفع مستوى الجماهير في هذه الميادين وبناء مجتمع متقدم وثوري قادر على مواجهة مشكلات العصر ومتطلباته المعقدة . كما لا يمكن لقطرنا أن يؤدي دوره الثوري الطليعي في تحرير الامة العربية وبناء دولتها الاشتراكية الموحدة مع بقاء هذه النسبة العالية من الامية بين صفوف شعبنا » (٥) .

- (١) مشكلة الامية في الاقطار النامية ص ٣٣ .
- (٢) صلاح الدين الشيعلي ، نحو الامية الوظيفي . دراسة في القطاع الصناعي ص ٨ - ٩ .
- (٣) ميثاق العمل الوطني ص ٤٥ .
- (٤) الميثاق ص ٤٦ .
- (٥) التقرير السياسي ص ١٥٤ .

محو الامية في العهد العثماني

حالة العراق السياسية والاجتماعية والثقافية

دخل العراق ضمن املاك الدولة العثمانية سنة ١٥٣٤ م واستمر حكم الاتراك حوالي أربعة قرون انتهى بدخول الانكليز العراق واحتلاله سنة ١٩١٧ م. وقد قسم العثمانيون العراق الى ثلاث ولايات : بغداد والموصل والبصرة ، يحكم كلاً منها وال يعين بفرمان يصدره السلطان من عاصمة الدولة (استانبول). وقد لقي أهل العراق خلال هذه القرون التي امتازت بالجمود والتخلف أنواع المصائب والأهوال بسبب استبداد أكثر الولاة الذين كان همهم جمع الاموال وفرض الضرائب الثقيلة على المواطنين ، كما فتكت فيهم الاوبئة كالطاعون والهيبضة ، وضربت الفيضانات السدود والممتلكات والدور ، فأمسى العراق في حالة يرثى لها من التخلف في كافة الميادين الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية ، فالجهل عام ، والامية متفشية بين سكانه بصورة رهيبة ، وتبعاً لذلك سادت الخرافات وعم المرض وانتشر الفقر ، ولاشك « أن مجتمعاً متخلفاً مثل هذا المجتمع الذي يسوده الفقر ويفتك بأفراده المرض لا بد أن تنفشي فيه الامية ويسيطر الجهل على أفرادها» (١)، فكانت الكتاتيب (٢) هي المدارس التي تقوم بمحو الامية ، والملاي واللالات هم المدرسون، والحلاقون هم الجراحون والعطارون هم الاطباء الذين يصفون الدواء وفي الوقت نفسه هم الصيادلة الذين يبيعون الدواء ويعلمون الناس كيفية استعماله « فلاعجب إذا ما انتهى القرن التاسع عشر والبلاد ماتزال في حالة من الفوضى والتفسخ ، فشا فيها الجهل وسيطرت الخرافات واندرست معالم المدنية والحضارة وانتشرت الامية ، حيث لم تكن تحكم البلاد دولة تعرف واجبها الاساسي أو القيام بأبسط الواجبات كضمان حرية المواطنين والمحافظة على حقوقهم ونشر ألوية الامن والطمأنينة في البلاد» (٣)، أين هذا

- (١) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ص ١٧ .
- (٢) الكتاتيب : مفردتها (الكتاب) : موضع تعليم الكتاب ، اي الكتابة . (الهلالي ، تاريخ التعليم في العهد العثماني ص ٤٩ .
- (٣) عبد الرزاق الحسي ، العراق قديماً وحديثاً ص ٣٠ .

من عصر الرشيد والمأمون الذهبي الذي ازدهر فيه العراق أيام العباسيين وغدا قبلة أنظار العالم؟ بلاد الخيرات التي دمرت والقابليات التي اهملت (١)

ان محو الامية في العراق في عهد العثمانيين المتأخر قد اتخذ مسارين، المسار الاول: الجهود الفردية التي تمثلت في المدارس الدينية - التي يديرها ويدرس فيها أئمة المساجد في الجوامع - وفي الكتابات التي كان يديرها (الملاي) واللالات (٢) وكان لهما شأن عظيم، حيث لم تكن المدارس الحديثة قد وجدت في العراق ولا مراكز محو الامية قد فتحت بعد، فكانت الكتابات بمثابة المدارس الحديثة، وهي المعول عليها في محو الامية يومئذ.

المسار الثاني: الذي تمثل في قيام الدولة العثمانية بفتح (المكاتب) المدارس الحديثة، وهذه لم يكن لها شأن كبير في محو امية المواطنين للأسباب التي سنذكرها، كما تمثل في مساعي الاهلين في فتح المدارس الاهلية لتعليم المواطنين ومحو اميتهم، وكان اثرها ضيقاً ومحدوداً وكان تعليمها محصوراً في ابناء الطوائف والأقليات او ابناء الاسر الغنية.

١ - الجهود الفردية: ان انعدام المدارس واهمال الدولة العثمانية امر التعليم وفتح المدارس، جعل العراقيين يعتمدون في التعلم ومحو الامية على الكتابات التي انتشرت في البلاد، وهي امتداد لاسلوب التعليم القديم الذي

(١) ينظر ستيفن هيمسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٢ و ٣١٠.

(٢) الملاي: جمع (ملا) ويطلق على الشخص الذي يعلم الأطفال الصغار قراءة القرآن الكريم او رجل الدين في القرية. ومعناها الاصلي: القاضي بلغة التتر. وقيل: ان اصل اللفظ (ملا) اي (من لا) مثل له، وقد ادغم الحرفان واستعملوا كلمة واحدة، وقيل ان ان اصلها من املاء كتاب الله (قطر المحيط بطرس البستاني ٢/٢٠٩٥. في الالفاظ العامية الموصلية. د. حازم البكري ص ٤٧٩ و ٤٧٣).

والملالات: جمع (لالة) ومعناها: المرابي من الخدم وهو عامي معرب. وكان يطلق على (الملا) الذي يقوم بأخذ الاطفال من بيوتهم إلى الكتاب والرجوع بهم إلى البيوت وملاحظتهم من اذى الطريق اضافة إلى تعليمهم القرآن الكريم (شفاء الغليل فيما في كلام كلام العرب من الدخيل ص ٢٣٤).

كان متبعاً منذ القرن الرابع الهجري ، (١) ولم يكن الغرض من وجودها محو الامية كغاية مقصودة لذاتها ، بل كان الغرض منها تعليم المرء (الدين) الذي لا تيسر معرفته الا بمعرفة القراءة والكتابة لتلاوة القرآن الكريم (٢) التي تستنبط منه الاحكام وتؤخذ منه التشريعات وبه يعرف الانسان واجباته نحو ربه ومجتمعه . «ولما كانت الحكومة ليست مسؤولة عن هذه الكتابات وليس لها سلطان عليها ... فقد كان بإمكان اي شخص قارئ ، حافظ للقرآن ، ان يتخذ التعليم حرفة ومكتسباً ، وان لم يكن على درجة من القدرة على التدريس أو تربية الأطفال» (٣) ، ومن هنا يمكن القول «إن مكافحة الأمية لاذت بنظام حر يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب التعليم» (٤) .

كانت الكتابات مختلفة ، فمنها ما كان خاصاً بالبنين ويتولى التعليم فيها رجل يسمى (الملا) او (الشيخ) ، يعاونه شخص يدعى (الخلفة) ، ويكون من قدامى التلاميذ الذين ختموا القرآن الكريم ، أو ممن أخذ يتكسب بمعاونة الملا ، كما ان الكبير من الدارسين الذين يدعون بـ(الصناع) يعلم الصغير ، والدارس القديم العهد في الكتاب يعلم الجديد وهكذا تجري عملية التعليم ، «وهي تعتمد على التكرار الممل والقراءة الصائتة ، اذ يتحتم على التلميذ القراءة بصوت عال ، فكلما ارتفع صوته كلما كان ذلك مبعث ارتياح الملا وتقديره» (٥) . ومن الكتابات ما كان خاصاً بالبنات ومنها ما كان مختلطاً ، ويتولى امر التعليم في هذين القسمين في الغالب امرأة تسمى (الملية) ممن كن يحسن القراءة والكتابة او القراءة فقط . «وتقوم الملية في بعض الاحيان وحسب الاتفاق بتعليم البنات (الخيطة) ايضاً ، وعند ذلك يطلق على الملية (الاستة) وهي مرادفة لكلمة (اسطة)

- (١) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ص ٤٩ .
- (٢) ينظر المصدر نفسه ص ٥٢ .
- (٣) المصدر نفسه ص ٥٤ .
- (٤) عبد الحميد العلوجي ، محو الامية بين الماضي والحاضر . مجلة المعرفة العدد الثاني ص ١٥ .
- (٥) تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ص ٤٩ .

عند الرجال ... وكانت المليية في محلتها جليلة الشأن كبيرة القدر لأنها تعرف القراءة والكتابة « (١) .

اما اماكن الكتاتيب فكان بعضها في المساجد القديمة أو المهجورة، وان كانوا يدعون إلى منعهم من التعليم فيها « لأن النبي (ص) أمر بتزيه المساجد من الصبيان والمجانين ، لأنهم يسودون حيطانها ، وينجسون أرضها ، ويمشون على البول وسائر النجاسات » (٢) وكانوا يطالبونهم باتخاذ الحوائت في اطراف الاسواق ، او على الشوارع ، كما كانوا يدعون إلى عدم اتخاذ البيوت او الدهاليز اماكن للتعليم خوفاً على اولادهم من الفساد، (٣) ومع ذلك كانت المساجد او اجنحة منها تتخذ اماكن للكتاب ، كما اتخذت الدور كذلك .

كانت اماكن الكتاب على العموم غير صحية ، فالمكان يكون عادة مزدحماً بالدارسين والتهوية تكاد تكون معدومة ولاسيما في الشتاء، ويكون جلوس الطلاب على حصران من القصب تفرش على الارض ، وفي الشتاء على بسط تفرش ، والمرافق الصحية ان وجدت فهي قذرة .
اما التدريس فكان مقتصراً على تعليم تلاوة القرآن الكريم وتحفيظ قصار السور وتعليم مبادئ الدين والخط الذي يسمى (مشق) على الواح من الصفيح ، فمادة التعليم التي كانت تستخدم في تعليم الناس ومحو اميتهم في العهد العثماني هو القرآن الكريم واجزائه. فالقرآن بحكم كونه كتاب المسلمين الاول ، فهو وسيلتهم لمعرفة مبادئ الدين التي هي ضرورية لكل مسلم ، ومن هنا خدم القرآن لغنة العرب من الضياع ففي الوقت الذي كانت المدارس التي فتحتها الاتراك مؤخراً تقوم بتدريس العلوم باللغة التركية ، بل حتى اللغة العربية ! . كانت الكتاتيب تعلم الناس أفصح كتاب عربي . فالصغير يتلقن من معلمه أفصح كلام تسمعه اذنه

(١) جلال الحنفي في لقاء له . مع مجلة المعرفة ، العدد الثالث ص ٥٥ .

(٢) ينظر ابن بسام المحتسب ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٦١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦١ .

فيشب على الفصاحة متحدياً محيطه الغارق بالعجمة حتى اذنيه ، ومن هنا خدم القرآن الكريم لغة العرب من الضياع ، فله الفضل على ابناء الضاد على مر العصور ، ففي العصر الاموي وضعت قواعد اللغة العربية ، خدمة للقرآن ومن اجل القرآن صوتاً لألسنة العرب من الوقوع في اللحن عند تلاوتهم له . وفي العصور المظلمة يتخذ كتاباً للمطالعة لتعليم القراءة والكتابة بواسطته ، فهو كتاب مفيد في ضبط اللغة وتقويم الاخلاق ، بغض النظر عن الطريقة العقيمة التي كانت متبعة في تعليمه للدارسين .

اما طريقة الدراسة فتبدأ عادة بتعليم التلميذ الحروف ثم الحروف وحركاتها في الجزء الاول المسمى (ألف باء) والعامية نسميه (جزء أليفات) ويسمونه ايضاً (جزء هول) لأن التلميذ أول تعليمه يحفظ قطعة لكي يستفتح بها خيراً وهي : (هو الفتح العليم ، يفتح يارزاق ... رب تم علينا بالخير أمين) . ثم يحفظ الحروف الابدجية بكلمات : (أبجد هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، تحذ . ضطع ، فتبارك الله أحسن الخالقين) وبعد ان يتقن التلميذ المبتدئ حفظها عن ظهر قلب ، مع رؤية رسم حروفها في الجزء ، يعلم اسماء الحروف الابدجية الثمانية والعشرين هكذا : اب ت ث ج ح خ د ذ .. الخ ثم يعلم كل حرف مع الكلمات ، ومن الطريف ان نذكر أن اسماء الحركات كانت بالفارسية فالضمة تسمى (بيش) ، والفتحة تسمى (زبر) والكسرة تسمى (زير) فمثلاً يعلم التلميذ : اليف بيش (أ) ، بي بيش (ب) ، جيم زبر (ج) ، وحى زير (ح) .

اما الحرف المنون فكان يعلم هكذا : دال توبيش (د) ، ذال تربر (ذ) ، وري توزير (ر) .. الخ .

وبعد ان يتعلم التلميذ جميع الحروف مع حركاتها - وغالباً ماتكون المدة طويلة قد تصل إلى ستة أشهر او أكثر ، ويعتمد ذلك على ذكاء التلميذ ،

وذلك لصعوبة تعلم أسماء الحروف مع أسماء حركات غير مألوفة لدى
الدارس - يباشر بتعليمه سور القرآن ، فيبدأ بسورة الفاتحة فالجزء الثلاثين
من القرآن الكريم (جزء عمّ) فيبدأ من آخر الجزء إلى أوله ، ثم جزء (تبارك) ،
و جزء (قدسمع) و جزء (والذاريات) ، بعد ذلك يباشر بتعلم الاجزاء الستة
والعشرين الباقية في المصحف إلى أن يصل إلى أول سورة وهي (البقرة) .
ويتعلم الدارس جزء عمّ كله بطريق التهجئة ، فمثلاً : الحمد لله رب العالمين
يتهجها الدارس هكذا: اليف لام زبر: أل، حي ميم زبر : حم، الحم دال
بيش دُ : الحمد . لام لام زيرٍ لل لام الف لا للآ هي زير هـ : لله . رى
بى زبر رب بى زير بـ : رب . اليف لام زبر أل ، عين اليف عا : العا ،
لام ميم زير م : العالم مي نون زبرن : العالمين . وقد زار الاستاذ ساطع
الحصري أحد الكتاتيب التي كانت باقية إلى ثلاثينات هذا القرن ، عندما كان
مديراً عاماً للمعارف ، فوجد نحو ثمانين من الاطفال امام بعضهم الفباء ،
وأمام البعض الآخر جزء عمّ ، وامام البعض الآخر القرآن الكريم . فاقترب
من أحدهم وكان يقرأ الالفباء : باتوزبرن - باتوزيرين - باتويش بون
... وانتقل إلى آخر يقرأ: لام زبرل - لام زير لي - لام بيش لو . فلم يفهم
شيئاً مما كانا يقولان، ثم علم آخر الأمر ان الحركات فتحة وكسرة وضمّة،
وفتحتين وكسرتين وضمّتين تلفظ - خلال التهجي - بالفارسية. ان تعليم الحروف
بأسمائها اضافة إلى نطق الحركات بالفارسية كان عقبة كأداء امام تعلم الدارسين
يومئذ لأننا اذا باشرنا « تعليم الحروف بأسمائها ، يصعب جداً على اذهان
المتعلمين الانتقال من تلك الحروف إلى الكلمات التي تتألف منها، فمتى نفعل
ذلك نضطر إلى ان نقول حينما نريد ان نهجي كلمة (جاموس) مثلاً: (جيم
الف : جا) ، (ميم واو : جو) ، موسين : موس (=) جا - موس) .

(١) ينظر ساطع الحصري ، مذكراتي في العراق ص ٨٤ - ٨٥ .

ومن الامور البديهية ان المشابهة والمناسبة بين لفظة (جيم الف) ولفظة (جا) بعيدة جداً ، كما انها بعيدة بين لفظة (ميم واو) ولفظة (مو) ولفظة (موسين) و (موس) ايضاً . لذلك لا يمكن للطفل ان يعرف عقلاً ان مجموع حرفي (جيم الف) يجب ان يلفظ (جا) ، وميم واو يلفظ مو ، فليس من السهل على ذهن الدارس ان يستدل على ان (غين واو) يجب ان تلفظ (غو) ... ولو سلمنا بان الواو تلفظ (ثو) فدخول ال (غين) عليه يجب ان يولد لفظ (غينو) لهذا فكثير من الدارسين كانوا يقضون السنين الطوال دونما فائدة ، وقد يترك قسيم منهم (الكتاب) وهم لم يتعلموا شيئاً ، وقليل منهم من يحتم القرآن الكريم وهم الذين اوتوا نصيباً من الذكاء . والموهوبون منهم اذا واتتهم الظروف واستمروا في الكتاب سيتعلمون اضافة إلى تلاوة القرآن الكريم الخط والتجويد وشيئا من الحساب ، او يلتحقون بالمدارس الملحقة بالجمامع ، فيتخصصون بعلوم الدين .

لم يكن هناك من وسيلة لمساعدة التلميذ في دراسته كتبسيط الدرس مثلاً او توضيحه او تشويق التلميذ ودفعه إلى الدراسة واعمال الفكر سوى استعمال الضرب المبرح بواسطة آلة خاصة - تدعى (الفلقة) - لضرب الأرجل ، وهي مكونة من قضيب خشبي مثقوب من جانب رأسه وقد ادخل في الثقيبين حبل . ويظهر ان الضرب في الكتابات عادة موروثه حيث نستدل مما ذكره ابن بسام المحتسب (٢) الذي عاش في القرن الثامن الهجري (٣) ، ان (الملا) كان يستعمل الضرب المبرح بعضا غليظة تكسر العظم ، او لينة من الخيزران او الرمان مثلاً تؤلم الجسم ، ومن كان يتخذ مجلدأ عريض السير يضرب به الصبيان على الافخاذ واسافل الاقدام كان يعد غير خارج عن حدود التأديب والتعليم الصحيح !

(١) ساطع الحصري ، طريقة تعليم الالفباء ص ١٦ .

(٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٦٠ .

(٣) تاريخ وفاته مجهول .

بمثل هذه الاساليب وبمثل طرق التدريس هذه كانت تكافح الامية في العراق في أواخر القرن الماضي ، واذا ما علمنا ان الكتاتيب كانت - بسبب اهمال الدولة العثمانية في فتح المدارس الحديثة - بمثابة المدارس الابتدائية ، وكانت هي المعوّل عليها في مكافحة الامية ونشر المعرفة يومذاك ، فلا نعجب اذا رأينا الامية قد تفشّت في العراق بشكل مربع ، بحيث « يمكن القول إن نسبة المتعلمين لم تكن لتزيد عن النصف بالمائة » (١) .

بقيت الكتاتيب تؤدي دورها البسيط في محو امية العراقيين إلى جانب المدارس القليلة التي فتحت في العهد العثماني الاخير وعهد الانتداب البريطاني ثم ازدادت نسبياً خلال العهد الملكي ، بقيت إلى ما بعد منتصف القرن العشرين تدرس الناشئة بطريقتها المتخلفة الخالية من ابسط قواعد التربية والعلم الحديث ، نظراً لقلّة المدارس التي تفي بحاجة الدارسين آنئذ ، ولسيطرة الجهل المتفشي على اناس لم « تتسع عقليتهم لفهم الغاية من التعليم ، فأباء طلبة الكتاتيب يبعثون بأولادهم إليها لكي يتعلموا مبادئ القراءة والكتابة والدين ظانين بأن ضالتهم هذه لا يمكن تحقّقها في المدارس » (٢) فقد آمنوا بأنها الوسيلة الصحيحة في تربية وتهذيب وتعليم الابناء والبنات . لذلك فرضت الكتاتيب نفسها على المجتمع لتخلفه ، واعترف بها المسؤولون على شؤون المعارف في تلك الحكومات ، فقد اشترط في العهد العثماني فيمن يتقدم إلى المدرسة (الرشدية) المتوسطة ان يكون قد انهى الدراسة في احدى الكتاتيب (٣) ، وكانت في الآونة الاخيرة بعد تأسيس دائرة المعارف العثمانية في العراق ، تموّل في قسم من مصاريفها من الاوقاف ، وفي القسم الآخر من دائرة المعارف ، وقد استمرت السلطات البريطانية على مساعدة الكتاتيب التي بقي معلموها ولم ينسحبوا مع الاتراك ، من اموال الوقف (٤) ، كما

(١) الهلاي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ص ١٥٠ .

(٢) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٤٦/٤٥ .

(٣) د. علي الوردي . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٢٦٠/٣ .

(٤) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ص ٣١٨ .

اخضعت وزارة المعارف العراقية هذه الكتابات « لرقابتها فألزمت كل من يقدم على فتح كتاب ان يستحصل على اجازة خطية اولاً وان تتوفر الشروط الصحية في المحل المعد لاتخاذ كتاباً ثانياً ، وتأميناً لهذه الناحية الاخيرة الزمت وزارة المعارف مديريات معارف (الألوية) المحافظات على كشف محل الكتاب قبل مفتحها في طلب الاجازة » (١) .

وتجدر الاشارة إلى أن تحسناً بسيطاً طرأ على طريقة التدريس التي مرّ ذكرها وهي استبدال أسماء الحركات الفارسية: بيش، زبر، زير، بالعربية، وهي الضمة والفتحة والكسرة ، وأول من قام بذلك كما ذكر الشيخ جلال الحنفي (٢) هو (ملا توفيق) الذي افتتح مكتباً لتعليم القرآن في مدرسة السليمانية القريبة من شرطة بغداد ، حيث بدأ باستعمال : (أ لف فتحة أ) و (باء فتحة ب) وكان هذا في الثلاثينات . كما تطورت الدراسة في الكتابات فصارت تدرس «مبادئ القرآن الكريم والدين ومعلومات بسيطة عن الحساب والمقاييس والخط والرياضة في الكتابات الاسلامية، وتدرس الديانة المسيحية في الكتابات المسيحية ، والديانة العبرية في الكتابات اليهودية (٣) » ، وكان في بغداد كتاب واحد لليهود « يدعى بدار مؤسسات العميان ، الدراسة فيه على طريقة العميان ، ويدرس الطلاب بجانب بعض العلوم النظرية فيه قسماً من الصنائع البسيطة كحياكة الخيزران بالاضافة إلى تدريس الموسيقى (٤) » .

وقد دأبت وزارة المعارف على ذكر الكتابات في الاحصاءات السنوية عن سير المعارف، واول احصاء ورد فيه ذكرها- على ما أعتقد- هو الذي نشره ساطع الحصري في مجلته (التربية والتعليم) (٥) في ١ نيسان سنة ١٩٢٨ بأنه « يوجد في العراق (١٧٨) كتابات غير منظمة مجموع طلابها ٣٤٩٨ » . وقد ذكر التقرير

(١) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٤٦/٤٥ ص ٧٧ .

(٢) مجلة المعرفة العدد الثالث ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٤٧ /٤٦ ص ٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٧٧ . بقي قائماً حتى سنة ١٩٥٠ .

(٥) الجزء الرابع ص ٣٨٦ .

السنوي عن سير المعارف لسنة ٤٥ / ١٩٤٦ (١) ان عدد الكتاتيب المجازة في العراق : (٨٢) منها (٥٠) للذكور و(٨) للاناث و(٢٤) مختلطة ، مجموع تلاميذها (٥٩٨٦) منهم (٤٧٠١) من الذكور و(١٢٨٥) من الاناث . ويذكر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ٥٧ / ١٩٥٨ أن نظام المدارس الابتدائية الزم ادارات المدارس الابتدائية بقبول الذين ينتقلون من الكتاتيب (الملاي) في الصفوف التي تناسب وقابلياتهم بعد اجراء اختبارات خاصة بهم (٢) .

وقد أخذت أهمية الكتاتيب تقل سنة بعد أخرى نظراً لشدة الاقبال على التعليم في المدارس الابتدائية (٣) ، ولم يبق من الكتاتيب المجازة في بغداد سنة ١٩٥٨ سوى كتابين دراستهما مختلطة ، وعدد الذكور فيهما (٥٤) والاناث (٢٥) . « ومع ذلك فهناك عدد غير قليل من الكتاتيب غير المجازة ما تزال موجودة في مختلف أنحاء العراق في المدن والقرى وبين العشائر » (٤) كما يذكر آخر تقرير صدر عن وزارة المعارف العراقية قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م .

وهناك نوع آخر من المدارس غير الكتاتيب ، وهي المدارس الدينية الملحقة بالجموع ، وكأنها كانت لمن يريد أن يتخصص بشيء من العلوم الدينية واللغوية ويتولى التدريس فيها عالم أو امام الجامع ، « فقد ينحصر غرفة في الجامع تقوم مقام المدرسة بحيث يجلس الاستاذ على يمين الداخل إلى الغرفة ويجانبه موضع خاص للكتب ، ويجلس الطلاب قبالة على يسار الداخل إلى هذه الغرفة . وقد يلحق بها غرفة ثانية تستغل لمبيت الطلاب الفقراء ومسكنهم ، اما اعاشتهم فمن الوقف المخصص للمدرسة » (٥) وهذه المدارس امتداد للحلقات التي ظهرت في مساجد البصرة والكوفة في القرن الاول الهجري . « وكانت الدراسة في هذه المدارس تقتصر على تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الدينية بالدرجة الاولى ككتب الحديث

-
- (١) ص ٧٨ .
 - (٢) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ٥٧ / ١٩٥٨ ص ١٤ .
 - (٣) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ٥٧ / ١٩٥٨ ص ١٠١ .
 - (٤) المصدر نفسه ص ١٠١ .
 - (٥) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ص ١٥٠ .

والسير والتفاسير . أما العلوم الطبيعية والرياضيات فلا نصيب لها في مناهج هذه المدارس اللهم الا بعض المعلومات الاولية والعامه وهي لاتعدو المبادئ البسيطة في الحساب والتاريخ «(١) ، وهذه المدارس لاتقوم على نظام معين في الدوام «وانما يخصص بعض الوقت ويكون عادة في الصباح الباكر أو بعد صلاة العصر وقد يكون الطلاب من ذوي المهن وأصحاب الاعمال فلا ينتظمون بالدراسة الا في أوقات فراغهم» (٢) .

ان اهمـال الدولة العثمانية في فتح المدارس ونشر التعليم في العراق دفع الأهالي إلى التفكير في فتح المدارس الاهلية الحديثة ، ومن « اولى المدارس الحديثة في العراق هي تلك التي فتحت على يد الآباء الدومنيكين في الموصل ، ولم تقتصر هذه المدرسة على تعليم ابناء الطائفة المسيحية فقط ، بل دخلها ايضاً عدد كبير من ابناء المسلمين ، والظاهر ان ذلك حفز الحكومة المحلية على فتح مدرسة (اميرية) في الموصل ، وقد تم فتحها في سنة ١٨٦١م بسعي من الحاج فهمي افندي العمري ، فكانت اول مدرسة حكومية في العراق » (٣) وقد احدث هذا العمل اثره في بغداد حيث « عمل الآباء الكرمليون في بغداد على فتح المدارس الحديثة على نحو ما فعل زملاؤهم الدومنيكون في الموصل . وفي سنة ١٨٦٥م فتح اليهود اول مدرسة لهم في بغداد وهي مدرسة (الأليانس) التي كانت تحت اشراف الاتحاد الاسرائيلي الفرنسي » (٤) وبقيت بغداد محرومة من المدارس الرسمية الحديثة حتى سنة ١٨٦٩ م حيث تولى مدحت باشا ولايتها ، وكان من الذين نادوا بالاصلاح منذ تولى منصب (الصدر الاعظم) رئيس الوزراء في الدولة العثمانية قبل ولايته على بغداد ، ومن برنامجه الاصلاحى ، يومئذ : اطلاق الحرية لجميع افراد الشعب وجعلهم متساوين في الحقوق والواجبات واصلاح جهاز الدولة واقصاء من

(١) فيصل محمد الارحيم ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ص ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٤ .

(٣) د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٢٥٩/٣ .

(٤) المصدر نفسه ٢٦٠/٣ .

يشبته في اخلاصه ونزاهته ، والقضاء على الامية وجعل التعليم اجبارياً (١) ، قام مدحت باشا باصلاحات عديدة في العراق ، منها انه « فتح في بغداد ثلاث مدارس هي مدرسة الصنائع للايتام التي ظلت قائمة حتى عام ١٩١٧م ، والرشدية الملكية التي بقيت حتى اعلان الدستور (المشروطة) سنة ١٩٠٨ م والرشدية العسكرية . وكانت الرشدية في ذلك العهد تقرب من مستوى المتوسطة غير انها كانت تقبل التلاميذ الذين تعلموا في الكتاتيب (٢) » وهذه المدرسة التي تعد متوسطة ، « لم تكن مدرسة بالمعنى الصحيح الا أنها على كل حال كانت خطوة في سبيل الاصلاح ، ومحاولة لاعتبارها نقطة انطلاق لنشر مثيلات لها في المدن والحواضر الاخرى » (٣) .

وزاد تأسيس المدارس بعد مدحت سواء كانت حكومية ام اهلية ، فقد اسست مدرسة الكاثوليك للكلدان سنة ١٨٧٨ (٤) ، كما شيد عبد الوهاب النائب مدرسة في محلة الفضل التي كان ابناءؤها محرومين من ارتشاف العلم واهداها إلى الحكومة وسميت باسم (حميدي مكتبي) وفتحت في ايام الوالي سرى باشا سنة ١٨٨٩ م وهي باقية إلى اليوم باسم (مدرسة الفضل الابتدائية). (٥) وفي زمن الاتحاديين «عندما عين العراقيون ببعض الوظائف الحكومية وازداد عددهم في العهد الدستوري بدأ الناس يتجهون إلى المدارس والتعليم لكي يتخرج اولادهم موظفين ينالون المرتبات المضمونة في آخر كل شهر بالاضافة إلى ماتعطيه الوظيفة من النفوذ والجاه في مجتمع فقير بائس ، ومن هذه الفكرة الضيقة بدأ الناس يقبلون على المدارس المختلفة فأخذت تزداد باطراد». (٦)

- (١) ينظر تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ص ١٦ .
(٢) د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية ٢٦٠/٣ . عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ص ٢٢ - ٢٣ .
(٣) تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ص ١٥٠ .
(٤) عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ص ٢٤ .
(٥) بغداد القديمة ص ٢٤ .
(٦) تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ص ١٣٢ .

وقد ذكرت الاحصائية الرسمية التي نشرتها وزارة المعارف العثمانية في أوائل الحرب العالمية الاولى ان عدد المدارس (الاميرية) الرسمية في العراق كان اذ ذاك (١٦٠) مدرسة ابتدائية و(٤) مدارس ثانوية و(٣) دور للمعلمين و كلية للحقوق . اما عدد التلاميذ فكان (٦٦٥٦) في المدارس الابتدائية ، منهم (٨١٨) في المدارس الثانوية و(١٧) في دور المعلمين و(٢٤٤) في كلية الحقوق ، غير ان المدارس الثانوية اذ ذاك كانت محتوية على صفوف ابتدائية و(٤٧٢) من مجموع طلابها كانوا في تلك الصفوف ، اما عدد الذين كانوا في الصفوف الثانوية، فقد كان(٣٤٩) لا غير . وكان عدد المعلمين (٣٢١) في المدارس الابتدائية ، (٤٩) في المدارس الثانوية ، (٢٢) في دور المعلمين و(١٠) في كلية الحقوق . اما مدارس البنات من المجموع الآنف الذكر فكان (١٢) مدرسة ابتدائية ، فيها (٣٢) معلمة و(٧٥٦) تلميذة. (١) ويظهر جلياً تقصير الدولة في مجال التعليم اذا القينا نظرة على الاحصائية وقرنا بين المدارس الحكومية والمدارس الاهلية حيث انها كانت أقل عدداً وأكثر طلاباً وأحسن تنظيمًا ، فقد ذكرت الاحصائية ان عدد المدارس الاهلية كان (١٢٥) مدرسة وعدد معلميها(٣٢٧) وعدد طلابها (١١٦٠٠) (٢) طالباً وهو ضعف عدد طلاب المدارس الحكومية تقريباً .

ان الذي يهمننا ليس عدد المدارس وطلابها ، انما هو معرفة مدى فاعلية نظام المعارف الذي أنشأه العثمانيون في العراق وكفاءته بحيث يستطيع ان ينشر المعرفة في العراق ويكافح الأمية ، ولا سيما التعليم الابتدائي ، لأن «العلاقة بينه وبين مشكلة الأمية اوضح من أن تحتاج إلى بيان » (٣) ولشدة الرابطة بينهما «يعتقد فريق من الناس ان التعليم الابتدائي ليس الا حملة

(١) تنظر مجلة التربية والتعليم الجزء الرابع ص ٣٨٨ . وينظر ساطع الحصري ، مذاكراتي ص ١١٥

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨٨ .

(٣) المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ص ٢٩٤ .

منظمة من أجل القضاء على الأمية» (١) ، فالتقارير التركية تذكر انه كان في العراق نظام ممتاز للمعارف «فقد كان لكل من ولايات العراق الثلاث مدير معارف له ميزانيته وموظفوه وعدد كبير من المدارس التي تدير وفق منهج خاص . على اننا لو اردنا ان نحكم على المعارف بواسطة النتائج لوجدنا ان هذا النظام لم يكن الا شيئاً اجوف ، فلم يكن عدد المدارس كما تدل عليه الاحصاءات الرسمية ، ولم يكن دوام الطلاب فيها بالنسبة التي تذكرها هذه الاحصاءات» (٢) اضافة إلى أن «مستوى التدريس كان منحطاً إلى حد بعيد، فقد كانت المدرسة ذات الصفوف الاربعة لاتضم في بعض الاحيان سوى معلم واحد ... وكان التعليم لايجري بلغة ابناء البلاد ، بل باللغة التركية ، وكثيراً ما كان التلاميذ يتغيبون فلا يحضرون المدرسة الا عندما يأتي زائر أو مفتش ، وقد تعجز دائرة المعارف احياناً عن دفع مرتبات المعلمين شهوراً متتابعة» . (٣) والحق «أن المدارس في هذه الفترة تفتقر إلى كل شيء ، إلى المعلمين ، وإلى الكتب ، وإلى المقررات العلمية ، وفي كثير من الاحيان يقوم الضباط بتدريس الطلاب في المدارس» . (٤) ، فقد كان اهتمام الدولة العثمانية منصباً على الاهتمام «بالمدارس العسكرية ، فقد كانت تدرك أن الضابط الجاهل أشد ضرراً بالدولة من الموظف الجاهل ، انه قد يسبب هزيمة جيش أو فقيدان بلد ينتج الضرائب ، اما الموظف الجاهل فهو قد لا يضر الدولة كثيراً مادامت القوة العسكرية لديها سليمة» (٥) ، وكان أغلب المعلمين من الاتراك «وكانوا على جانب قليل من المعلومات والثقافة» (٦) ،

-
- (١) حسن احمد السلطان ، التعليم الابتدائي في المدن والارياف ، مجلة العلم الجديد العدد ٦٥ و٦٠ تموز ١٩٤٩ ص ٣٨ .
- (٢) فيليب ويلارد آيرلاند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ص ٨٨ .
- (٣) لمحات اجتماعية ٢٦١/٣ .
- (٤) تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ص ١٢٦ .
- (٥) لمحات اجتماعية ٢٦١/٣ .
- (٦) العراق دراسة في تطوره السياسي ص ٨٨ .

وقسم منهم كان «من اولي الاخلاق الرديئة» (١)، فكانت المدارس «مبوءة للشرور والذائل بحيث كان العرب المحترمون يترددون في تسجيل ابنائهم فيها» (٢) .

ومما تقدم يظهر لنا عجز النظام التعليمي عن نشر الثقافة ومكافحة الامية ، فليس مستوى المدارس بأرقى من مستوى الكتاتيب . ولهذا اخالف الاستاذ عبد الرزاق الهلالي حينما ذكر وصول الهيئة الاصلاحية برئاسة (ناظم باشا) بغداد سنة ١٩٠٨ وقيامها بفتح بعض المدارس بأنه عهد الرغبة الصادقة في نشر العلم والعرفان . (٣) اي علم وعرفان هذا ؟ والجهل ناشر الويتة والامية ضاربة اطنابها ! ان المدارس الاهلية في هذه الفترة قد سبقت المدارس الحكومية بأشواط وادت خدمات كبيرة في نشر التعليم ، ولكنها كانت محصورة ضمن ابناء الاقليات على الأكثر ، فقد كانت «منتظمة إلى درجة لا بأس بها . وهي لم تكن تتميز عن المدارس الحكومية بانتظامها فقط ؛ بل كانت تتميز عنها ايضاً من حيث طابع التعليم فيها ، إذ هي كانت تحرص على أن يتعلم تلاميذها مهنة حرة تنفعهم في الحياة العملية كاتقان اللغات الاوربية وفن المراسلة والمحاسبة مسك الدفاتر ومباني القانون والطب والهندسة وما اشبه » . وتعد المدرسة الجعفرية التي تأسست سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٩م باسم (مكتب الترقى الجعفري العثماني) (٤) «أول مدرسة في العراق تكافح الامية وتفتح صفوفاً مسائية لها» (٥) ، ففي سنة ١٩١٨ «أسست في المدرسة تدريسات ليلية لتعليم الاميين مباني القراءة والكتابة ، وقد توارد على المدرسة اعداد كبيرة من اصحاب الحرف لتعلم القراءة والكتابة ، والتجار والباعة لتعلم القراءة والكتابة وعلم الحساب واللغات التركية والفرنسية» (٦) .

- (١) لمحات اجتماعية ٢٦١/٣ .
- (٢) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ص ٣٤ .
- (٣) ينظر تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ص ١٥٠ - ١٥١ .
- (٤) بغداد القديمة ص ٢٧ .
- (٥) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب هامش (١) ص ٤٩ - ٥٠ للمترجم .
- (٦) عبد الرزاق عبد الدراجي ، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ص ٢٤ .

محو الامية في عهد الاحتلال البريطاني :

لم يتحسن الحال كثيراً بعد احتلال الانكليز العراق ، فبقيت الامية سائدة فيه منتشرة بين سكانه ، على الرغم من تطلع العراقيين إلى المعرفة وتحمسهم للتعليم لاسيما سكان المدن الكبيرة كبغداد والبصرة والموصل ، « حيث كانت العرائض والطلبات تقدم من جميع المناطق » (١) إلى السلطات البريطانية يطلب فيها مقدموها فتح المدارس . في حين « كان الميل الطبيعي للسلطات البريطانية يتجه نحو الحد من شأن المعارف واعتبار اهميتها شيئاً ثانوياً عند العمل على احياء البلاد ... وكان جهد السلطات منحصراً بالكلية في تثبيت دعائم الوضع السياسي ، فبلغت مصروفات المعارف في سنة ١٩١٧ / ١٩١٨ ٣٥٪ من مجموع مصروفات الدوائر الملكية » (٢) .

وقد تعطل الانكليز - اول دخولهم العراق - في عدم فتح المدارس الابتدائية ونشر التعليم بحجة نقص المعلمين ، ورغبتهم في تجنب الاخطاء التي وقعت في حقل التعليم بالهند ، كما يزعمون - وهو كون التعليم هناك مهياً لاعداد موظفين للدولة ، (٣) فقد عهدت السلطات البريطانية إلى المستر دوبس (معتمد الواردات) في اوائل سنة ١٩١٥ دراسة مشكلة المعارف وكتابة مقترحات خاصة تسير على وفقها السياسة البريطانية في هذا الشأن ، وقد قدم مذكرته في ١٥ شباط ١٩١٥ ، «وقد دفعه نقص المعلمين للمدارس الابتدائية إلى التصريح بأنه لو لم تكن الحاجة ملحة لاعداد العرب إلى الخدمة الحكومية ولو لم يخشى سوء الظن القائل بأن الادارة البريطانية غير ميالة لتسهيل امور التعليم (٤) » فانه ميال إلى ان ينصح بعدم فتح اية مدرسة ابتدائية في الستين المقبلتين . (٥)

(١) العراق دراسة في تطوره السياسي ص ٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ص ٤٠ .

(٤) العراق دراسة في تطوره السياسي ص ٨٨ .

(٥) مذكرة عن المعارف للمستر دوبس في ١٥/٢/١٩١٥ = العراق دراسة في تطوره السياسي ص ٨٨ .

والواقع ان قسماً من المعلمين في العهد العثماني قد انسحبوا مع الجيش العثماني (١) آملين ان يرجعوا يوماً إلى البلاد بعد ان يعود العثمانيون ! ولكن ذلك لا يعد ذريعة للسلطات البريطانية في عدم فتح المدارس التي تحتاج اليها البلاد « وفي تطبيق خططها التي لم تمت إلى احياة الناس بصلة وقد اقتبست مما كان يطبق في بلاد الهند ، البلاد التي اخضعها الاستعمار واستغل اهلها للآربة ومصالحه الاقتصادية تلك الخطط التي وجهت الحركة التعليمية توجيهاً خاطئاً كان من نتائجها ابقاء السواد فريسة للجهل والامية ، واقتصار التعليم على فئة سخرت لادارة الجهاز الحكومي ادارة تؤمن رغبات السلطات المحتلة ومصالحها ... ويبدو أن السلطات المحتلة ارادت ان تنشيء في البلاد كيانا حكومياً يزيل عن كاهلها مسؤولية الادارة المدنية التي كانت تثقل كاهلها اضافة إلى مسؤولياتها الحربية الكثيرة ... وكفاءة التعليم خلال فترة الاحتلال ضعيفة وسويته واطئة نسبياً ، ويعزى ذلك إلى عوامل ثلاثة . هي : قلة كفاءة المعلمين اولا واقتباس مناهج الدراسة عن مصادر اجنبية وعدم ملاءمتها لمحيط الطالب العراقي ثانياً وندرة الكتب الصالحة ثالثاً « (٢) لأنها انتخبت من بين الكتب المستعملة في المدارس الابتدائية المصرية الرسمية « (٣) .

شرح ابناء الشعب من الطبقة المستنيرة يفتحون المدارس الاهلية، حينما رأوا تلكؤ السلطات البريطانية في فتح المدارس الحكومية التي تسد حاجة البلاد واغداقها المعونات والمساعدات على المدارس التبشيرية ، فهبوا يجمعون التبرعات ويقدمون طلبات الاذن بفتحها ، ففي بغداد فتحت المدرسة الاهلية في ٢١/١١/١٩١٩م وبعد غلقها فتحت ثانية في ٣٠/٩/١٩٢٠م باسم (مدرسة التفيض الأهلية) (٤)

- (١) تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ص ٣٣ .
- (٢) حسن احمد السلطان ، التعليم في دور الاحتلال والحكومة الوقتية ، المعلم الجديد الجزء الاول ص ١٤ - ١٥ .
- (٣) فصول من تاريخ العراق القريب ص ٣٥ - ٣٦ .
- (٤) تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ص ٢١٨ .

بعد ذلك قام اهالي الاعظمية بجمع التبرعات لفتح مدرسة للبنات ابتداء من صيف سنة ١٩٢١ (١) كما فتحت المدرسة الحسينية الابتدائية في نهاية ١٩٢٠ والهاشمية الابتدائية في ١٩٢١/٤/٥ وقد جرت محاولات مماثلة لفتح مدرسة في البصرة واخرى في كربلاء . وفي الموصل كانت قد فتحت مدرسة ابتدائية باسم (دار النجاح) في ١٠ شوال سنة ١٣٣٣ هـ كما تم فتح المدرسة الاسلامية في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٩ م (٢) ، على ان هذه المدارس وامثالها من المدارس الاهلية الاخرى اضافة إلى المدارس الرسمية لم تكن لتسد حاجة البلاد الملحة للتعليم المتخلفة في هذا المضمار ، ولقلة المدارس وعدم وثوق قسم من الناس بها لسيطرة الجهل على الغالبية من السكان ، بقي اعتماد الناس في تعليم ابنائهم وبناتهم - كما ذكرنا - على المدارس الدينية والكتاتيب التي بقيت منتشرة في انحاء القطر ، وقد مر بنا ان السلطات البريطانية كانت تساعد الكتاتيب التي بقي فيها معلومها من اموال الوقف. ومما يدل على تفشي الامية في العراق في هذا العهد ان المدرسة الابتدائية التي فتحت لتعليم البنات كانت تديرها وتعلم فيها امرأة « امية لاتعرف القراءة ولا الكتابة ، وانما كانت تحصر عملها في دروس للخياطة وقراءة القرآن (٣) فهذه المدرسة اقرب إلى الكتاب منها إلى المدرسة الحديثة !

محو الامية في العهد الملكي

حالة التعليم في العهد الملكي :

أشرنا فيما مضى إلى العلاقة الوثيقة بين الامية والتعليم الابتدائي ، ويجدر بنا قبل أن نبين كيف كانت مكافحة الامية تسير في العهد الملكي المباد أن نبين حالة التعليم

(١) تنظر جريدة لسان العرب في ١٩٢١/١٢/٢ .

(٢) تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ص ١٢١

(٣) فصول من تاريخ العراق القريب ص ٣١٨ .

الابتدائي وكفاءته ، فان له « أهمية خاصة ، فهو بالنسبة للنظام التعليمي قاعدته التي تتأثر بكفاءتها كفاءة النظام وهو بالنسبة للمتعلم مرحلة الامداد بالأساسيات التي يمكن الانطلاق منها إلى تحصيل - أو تعليم - أوسع وأعمق ، وهو يمثل الحد الأدنى (١) » الذي يكفل محو أمية الفرد . فلو قدر التعليم الابتدائي أن يستوعب جميع من هم في سن الدراسة ، وأن يضمن لهم الاستمرار في الدراسة حتى اكتمال المرحلة الابتدائية « وأن يصل بهم إلى المستوى التعليمي الذي يمكنهم من توظيف المهارات التي اكتسبوها ويجنبهم الارتداد إلى الأمية ، لاخفتت مشكلة الامية من جذورها بعد فترة زمنية» (٢). فهل كان التعليم في ذلك العهد قادراً على ذلك ؟ هذا ماسنبيته فيما يأتي :

ان التعليم الابتدائي سار بخطى متثاقلة وبتقدم بطيء بحيث لم يحقق للشعب التواق إلى التخلص من الامية . فلم يستطع عند أعلى مستوى وصل اليه من التقدم أن يستوعب جميع من هم في سن الدراسة لأسباب عديدة . منها مايعود إلى السياسة العامة للدولة المتأثرة بالتدخل الاجنبي ، ومنها ضعف الاعتمادات في الميزانية بسبب انخفاض المستوى الاقتصادي العام ، لسيطرة الاحتكارات الاجنبية على موارد البلاد ، مما أدى إلى بطء نشر التعليم في العراق على الرغم من الحاجة الماسة اليه . ولو تكلمنا بلغة الارقام ورجعنا إلى السجلات الرسمية لظهر لنا صدق ما نقول . فقد بلغت ميزانية الدولة العامة سنة ١٩٢١ م (٥,٥٥٦,٥٧٤) ديناراً ، في حين كانت ميزانية وزارة المعارف للسنة الدراسية ٢٠ / ١٩٢١ : (١٣٠,٣٦٠) ديناراً وتبلغ نسبتها ٢,٣٪ إلى الميزانية العامة (٣) ، فكيف يرجى من هذه الميزانية أن تفي بحاجة البلاد من مدارس ومعاهد وكليات ؛ وبلغ عدد المدارس الابتدائية الرسمية (٨٨) مدرسة بينها (٣) مدارس للبنات ، وعدد المعلمين (٤٨٦) معلماً

(١) مشكلات التعليم الابتدائي وانعكاساتها على مشكلة الامية ، التقرير النهائي والتوصيات

ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٩ .

(٣) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٥٣/٥٢ ص ٣ .

بينهم (١٥) معلمة (١). ولو تتبعنا نسبة ميزانية المعارف إلى الميزانية لوجدناها تزداد بالتدرج بصورة بطيئة كلما تقدمت السنون حتى تصل إلى ١٢,٩ سنة ١٩٣٩/٣٨، حيث كانت الميزانية العامة ٥,٤٦٩,٨١٣ ديناراً وميزانية المعارف ٧٠٨,٠٥٦ ديناراً (٢)، ونرى النسبة تهبط في سنوات الحرب العالمية الثانية بالتدرج ابتداءً من سنة ١٩٤٢/٤١ حيث كانت (١١,٨٪) حتى وصلت ادنى نسبة سنة ١٩٤٥٪. ١٩٤٦ وهي ٨,٦٪، ثم بدأت في الارتفاع بعد سنة ١٩٥١/٥٠ حيث وصلت أعلى نسبة في ذلك العهد سنة ١٩٥٨ / ٥٧، وهي ٢٠,٣٪ (٣) وتبعاً لذلك كانت المدارس تزداد ببطء فبعد عشرين سنة من الحكم الملكي أي سنة ١٩٤١/٤٠ بلغ عدد المدارس الابتدائية (٧٢٠) مدرسة، منها (٥٢٩) مدرسة للبنين و(١٤٤) مدرسة للبنات و(٤٧) مدرسة مختلطة (٤)، غير أن هذه المدارس لم تكن كاملة، فقد كان بينها (٢٢) مدرسة ذات صف واحد و(٣٦) مدرسة ذات صفين و(٦٧) مدرسة ذات ثلاثة صفوف، لذلك لم تستوعب أكثر من (٩٠٧٩٤) تلميذاً منهم (٢٣٣٢٩) تلميذة (٥)، لهذا بقي التعليم الابتدائي عاجزاً عن استيعاب جميع من هم في سن الدراسة. وعجزه كان «يؤلف المنبع الرئيس للامية، ويزيد من خطورة هذا المنبع وفي تدفق الاميين عن هذا السبيل نسبة تزايد السكان في البلاد» (٦) وذلك يعود إلى قلة الامكانيات المادية التي جعلت الحكومة عاجزة عن توفير المدارس الكافية - ومع أنها عمدت في أوائل الخمسينات إلى جعل دوام المدارس مزدوجاً أو ثلاثياً للاستفادة من أبنية المدارس المتوفرة، فقد بقيت المدارس لا تفي بالحاجة - كما كانت سبباً في قلة دور المعلمين، فالاحصاءات تشير في سنة ١٩٥٢ إلى أن المعارف كانت محتاجة إلى ما لا يقل عن (٢٠٠٠) معلم ومعلمة سداً لحاجة التوسعات

(١) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ٢٥ / ١٩٥٣ ص ٤٠

(٢) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٥٨/٥٧ ص ٣ .

(٣) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٥٨/٥٧ ص ٣ .

(٤) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٤٠/٣٩ - ٤٢ / ١٩٤٣ ص ٨ و ٩ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ص ١٤ و ١٥ .

(٦) د. عبد العزيز البسام، دراسة عن استراتيجية مقترحة لمحو الامية ص ١٩٩ .

الطبيعية في التعليم الاعتيادي ، في حين كان طلاب وطالبات الصفوف المنتهية من دور المعلمين (٨٨١) (١) . وكان المسؤولون مقصرين في بذل المزيد من العناية بالمعلمين وتعديل رواتبهم وتقديم امتيازات خاصة لهم ، لكي يقبل الشباب بشوق ورغبة على هذه المهنة الشاقة ، ويقوم بدوره في عملية بناء المجتمع الأمثل ، لذلك كان لا يتقدم إلى التعليم إلا من تضطره ظروفه إلى عدم أكمال دراسته العالية وقد طلبت الجهات المسؤولة (٣٣٥) طالباً لدور المعلمين الابتدائية في مطلع سنة ١٩٥٣/٥٢ فلم يتقدم الا (٢٥٠) ولم يلتحق منهم الا (٢٣٥) ، وطلبت (٩٠) طالبة لم يلتحق منهن الا (٦٠) (٢) . أما في سنة ١٩٥٨/٥٧ حيث وصل التعليم الابتدائي كما ذكرنا أعلى مستواه في ذلك العهد، فقد بلغت المدارس (١٢٩٣٧) مدرسة منها (٨٧٧٦) مدرسة للبنين و(٤١٦١) للبنات وتبعاً لذلك ارتفعت المصروفات فبلغت (٨٠٤٠,٨٦٤) ديناراً (٣) ، كذلك لم يستطع أن يستوعب جميع من هم في سن الدراسة، فبقى ينضم إلى الاميين جيش من الاطفال ، فقد بلغت نسبة الامية سنة ١٩٥٧ (٨١,٧١٪) (٤) . والسبب أن هناك عاملاً كان يحد من فاعلية التعليم الابتدائي وجدواه في محور أمية الفرد العراقي من الاساس ، اضافة إلى ما ذكرناه عن قلة المدارس ، وهو (التسرب) (٥) من المدرسة ، الذي يؤدي إلى نسيان الطلاب ما تعلموه وارتدادهم إلى الامية ، « فان المعارف عند علماء التربية ان الحد الأدنى لرفع الامية بين الاطفال ، والتأثير بعض التأثير على حياتهم هو اربع سنوات من الدراسة الابتدائية والا فمعظمهم ينسون اغلب ما تعلموه ويعودون إلى الامية » (٦)

(١) الامية هي الداء ، مقال لفؤاد جميل ، جريدة الزمان في ١٩٥٣/٢/٢٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٥٨/٥٧ ص ٥ .

(٤) صلاح الدين الشихلي ، محور الامية الوظيفي ص ٩ .

(٥) هناك تعريفات مختلفة للتسرب فمنشورات اليونسكو تعرفه بأنه « التلميذ الذي يترك المدرسة قبل نهاية السنة الاخيرة من المرحلة الدراسية التي سجل فيها » (التسرب في التعليم ص ١٠)

(٦) د. مكي عقراوي ، تناقص الطلاب بين الصف الاول والسادس . مجلة المعلم الجديد العدد ٢

مايس ١٩٣٧ ص ٢٢٥ .

وقد كان التلاميذ في اواخر الثلاثينات « الذين ينهون الرابع الابتدائي ربع الذين يدخلون إلى الاول ، اما الباقون فانهم ينسحبون من المدارس بعد بقائهم فيها سنة او سنتين او ثلاث ، لذلك فتأثير المدارس عليهم ضئيل وقد يكون في بعض الاحيان معدوماً » (١).

وأسباب التسرب كثيرة ، منها ما يعود إلى فشل النظام التعليمي ، ومنها ما يعود إلى الحالة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للسكان ، فسوء الحالة المعاشية لكثير من الاسر ، ولا سيما سكان الارياف والقرى والمدن الصغيرة من الفلاحين والعمال والكسبة ، وعدم وجود التعليم المجاني او اكساء الطلاب ، او تقديم وجبة غذائية لهم ، كان يضطر كثيرا من اولياء امور التلاميذ إلى سحبهم من المدارس بعد قضائهم فترة قليلة والحاقهم معهم في العمل لكي يساعدهم على كسب قوتهم . وكان للجهل المسيطر على سواد الناس يومئذ نتيجته السيئة وخاصة في الريف فكانوا لا يرسلون اولادهم إلى المدارس زاعمين انها مفسدة للاخلاق ولا تهتم بالدين ، متأثرين بدعاية الملاي (٢) وكانوا متشددين اكثر بالنسبة للبنات ، فهم لسيطرة العادات والتقاليد الموروثة كانوا لا يرون ضرورة لتعليم البنات ويحبذون زواجها المبكر (٣) ، ولذا وجدنا نسبة الاميات اكبر بكثير من نسبة الاميين حيث بلغت سنة ١٩٥٧ (٩١,٦٪) في حين بلغت نسبة الاميين (٧٢,٤٪) كما ارتفعت نسبة الاميين في الريف فبلغت (٩١,٥١٪) في حين بلغت نسبتهم في الحضر (٦٥,٣٪) (٤).

ويتحمل النظام التعليمي « بصورة عامة مسؤولية كبيرة ومباشرة في زيادة حجم التسرب في العراق ، اذ ان عجزه عن تحقيق الاهداف التربوية بما فيها عجزه عن جذب الاطفال إلى المدرسة وقصوره في استبقاء التلاميذ » يؤدي إلى تركهم المدرسة . وقصور النظام كان يتمثل في عدم العناية الكافية باصول

(١) د. متي عقراوي ، تناقض الطلاب بين الصف الاول والسادس. مجلة المعلم الجديد العدد ٢

مايس ١٩٣٧ ص ٢٢٥

(٢) تنظر جريدة العراق في ١٨/١٠/١٩٣٤ .

(٣) حكمت عبدالله البراز وجانيت خصر بني ، التسرب في التعليم ص ٥١ .

(٤) نحو الامية الوظيفي ص ٩ .

التدريس وضعف مقدرة المعلمين وقلّة اهتمامهم والمعاملة القاسية التي يعاملون بها التلاميذ كالتوبيخ والاهانة والضرب ، وعدم ملائمة المناهج لعقلية الاطفال واعمارهم كانت سبباً في ترك كثير من التلاميذ الدراسة .

ولا بد لنا من وقفة طويلة في المادة التي كانت وما تزال معدة لتعليم الاطفال القراءة والكتابة وهي (القراءة الخلدونية) التي وضعها ساطع الحصري ، وقد درست وما تزال تدرس منذ قيام الحكم الملكي حتى يومنا هذا . وبقيت تدرس دون تنقيح حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وقد طالما وقف هذا الكتاب عقبة كأداء امام كثير من الاطفال ، وجعل رسوبهم يتوالى ، مما ادى إلى بأسهم وتركهم الدراسة . فهو يعتمد الطريقة الصوتية « التي تبدأ بالحروف اصواتاً واشكالا ثم الكلمات فالعبارات والحمل في تعليم المبتدئين القراءة والكتابة» (١) ، فالذي يريد ان يقرأ كلمة (ناس) مثلاً ، ليس في حاجة الا إلى معرفة اصوات الاحرف التي تتكون منها هذه الكلمة ، وبذلك يكون استرجاع اسماء الحروف (نون ، الف ، سين) عملية معطلة في اثناء القراءة» (٢) . وهذه الطريقة تتفق مع الطريقة الابدائية - التي ذكرنا انها كانت سائدة في الكتاتيب - في الاساس « وهو البدء بالجزء ولكنها تخالفها في أن الابدائية تعنى بتعليم اسماء الحروف ... وانصار هذه الطريقة يرون انها سهلة ، لأنها تسير في سبيل التدرج سيراً طبيعياً ، فالانتقال فيها من البسيط الى المركب ، ومن الحروف الى الكلمات ثم الحمل (٣) . والمآخذ على الطريقة : انها تبدأ بالجزء وهو الحرف ، وتنتقل الى الكل وهو الكلمة او الجملة ، وهذا مخالف للطريقة الطبيعية التي يسير عليها عقل الانسان في ادراك الاشياء والافكار ، فالعقل يبدأ بادراك الكل ثم ينتقل الى الجزء ، كما انها توجه عنايتها الى نطق الحروف دون الاهتمام بالمعنى ، ومن هنا جاءت في الكتاب كلمات ليس لها معنى مثل : زاروب ، نابور ، قابون ، دوما ، فلم تكن المادة المختارة مرتبطة ببيئة الدارسين وخبراتهم اليومية وليس

(١) د. ابراهيم مهدي الشبلي وعبد المحسن خلوصي الناصري ، تقويم الطريقة التوليفية ص ٤ .

(٢) جاسم محمود الحسون ونائل محمود السعيد ، مرشد المعلم ص ١٢ .

(٣) تقويم انطريقة التوليفية ص ٧ .

بينها وبين ميولهم علاقة ، لذا تصرف القارئ عن فهم المعاني ، ولاثير فيهم دافعاً وشوقاً لقراءة كلمات وجمل لاترابط بينها وبذلك لاتتكون لديهم الميول نحو القراءة ، كما ان الطريقة خلطت بين ماهو بسيط في المبني والمعني فالحرف وان كان بسيطاً في مبناه فهو يحمل معني مجرداً ليس مفهوماً . وبذا يكون البدء من المجهول إلى المعلوم (١).

ان الكتاب قبل تنقيحه كان يحتوي على الفاظ كثيرة « انتقاها مؤلفه من بيئة الشام ومحيطها .. اول لفظة تطالعك في اول صفحة من الكتاب (زير) (٢) ، اتظن ان طفلا من اطفال العراق - في شماله اوجنوبه - يعرف لهذه اللفظة معني ؟ ... ثم تأتيك : زاروب ، ونابور، ومرار ، وزارار ... ان هذه الالفاظ من اكثر الالفاظ شيوعاً عند اخواننا السوريين ، ولكنهما من اكثر الالفاظ غموضاً عند صغارنا ... إن الصغير ينفر ، وتتكون عنده العقدة النفسية ، حين يصدم اول ما يصدم بهذه الكلمات ، وقد يسبب له هذا الامر نفوراً لامن كتاب القراءة وحده ، بل من المدرسة كلها وان هذا الامر قد يغرس في نفس الطفل نفوراً عاماً من التعليم يصعب محوه وازالة أثره» (٣). اضافة إلى ان الكتاب لم يكن قبل تنقيحه ملوناً بالصور الواضحة ، ولم تكن كلماته كبيرة وواضحة ، كما ان صفحاته كانت محشوة بالكلمات ، غير « ان تعديلات كثيرة ادخلت عليه كان آخرها ما قامت به لجنة اللغة العربية في مديرية المناهج والكتب عام ١٩٧٧/٧٦ (٤). ان الكتاب وان كان بعد تنقيحه الاخير افضل بكثير مما كان يوم وضع الا أنني ارى انه لا يصلح قطعاً لتدريسه نظراً لطريقته الصعبة ، وان كان قسم من المعلمين قد استعاض عن الطريقة الصوتية بالطريقة الجملية التي هي ايضا طريقة عقيمة تجعل الطفل لا يستطيع تحليل الكلمات إلى حروف وتمييزها ، وفي هذا تعطيل لوسيلة هامة من وسائل قراءة الكلمات الجديدة . ثم ان

(١) مرشد المعلم ص ١٣ - ١٤ .

(٢) مازالت هذه الكلمة في (الخلدونية) المنقحة ص ٨ .

(٣) د. جميل سعيد ، جولة في كتب اللغة العربية ، مجلة المعلم الجديد ج ٥ و ٦ ص ١٢٧ .

(٤) تقويم الطريقة التوليفية ص ٩ .

الكتاب لا يمثل بيئات العراق المختلفة ولا كراماته منتزعة من بيئاته فان « كل بيئة من بيئات العراق تحتاج الى كتاب خاص تعلم به اول ماتعلم ، وان الكتاب الذي يقرأ به اهل الجنوب ، اهل البيئة النهرية ، لا يصلح ان يقرأ به اهل الشمال ؛ اهل البيئة الجبلية ، ان الفاظ اولئك يجب ان تنتزع من محيطهم من النخيل والمد والجزر والقوارب ... وان هؤلاء يجب ان تنتزع الفاظهم من الجبل والوادي والصخر وما الى هذا مما يبصره الاطفال حولهم » (١). فالأفضل ان يؤلف لكل بيئة كتاب وليس هناك اي بأس في ان تتعدد الكتب وتختلف ، وليس في ذلك من ضرر ، وإلى هذا ذهب بعض الباحثين (٢) .

محو الامية في العهد الملكي

ان الحكومة التي عجزت عن جعل التعليم الابتدائي في اعلى مستوى وصل اليه يستوعب الاطفال في سن الدراسة ويمكنهم من الحصول على الحد الأدنى من التعليم بحيث تمحي اميتهم كانت في قضية محو الامية اعجز ، والدليل على ذلك ان مكافحة الامية بصورة رسمية في اوائل العشرينات كانت مهملة فلم يرد في الاحصاءات الرسمية ذكر لمركز مكافحة فتح قبل سنة ١٩٢٧ حيث كان عددها في العراق (٣١) مركزاً للذكور فقط ، وعدد محاضريها (٨٦) ومجموع الدارسين (٢٠٧٤) (٣) وهذه المراكز لم تفتح الا لأن نخبة من ابناء الشعب كانت هي المبادرة الى فتح امثالها قبل هذا التاريخ ، فقد مر بنا مبادرة المدرسة الجعفرية الى القيام بتدريسات ليلية سنة ١٩١٨ ، فالشعب كان وما يزال متطلعاً إلى العلم ، وما فتىء المحسنون من ابنائه يكتبون لبناء المدارس ومساعدة الحكومات في فتحها ابتداء من العهد العثماني وانتهاءً بالعهد الملكي (٤). ففي العشرينات قام نفر من الشباب المتعلم بتأسيس (المعهد العلمي)

- (١) د. جميل سعيد ، المصدر السابق ص ١٢٧ .
- (٢) د. جميل سعيد ، المصدر السابق ص ١٢٨ .
- (٣) ينظر (احصاء عام عن مدارس مكافحة الامية) في التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٥٦/٥٥ ص ٤٢ .
- (٤) تنظر جريدة لسان العرب في ١٠/٢٥ و ١٢/٢ و ١٢/٣ و ١٢/١٤ و ١٩٢١/١٢/١٤ و ١٩٢٢/١/١ .

عندما رأى سلطان الجهل آخذاً بخناق الشعب والامية متفشية بين افراده وقد وقفت حائلا بينه وبين التقدم ، ففي ١٩٢١/١١/٨ وضعت نواة المعهد الذي كانت اهدافه علمية بعيدة عن السياسة ، وغايته بث العلوم ونشر الآداب العربية في العراق والقاء الدروس في محو الامية ، ونشر تصانيف الفضلاء وتأسيس مكتبة لاعضائه (١) .

وكانت هيئته الادارية المؤسسة (٢) قد وضعت نظامه الداخلي ونشرته في جريدة لسان العرب (٣) التي تعود إلى (ثابت عبد النور) أحد مؤسسي المعهد وعميده فيما بعد ، وجاء في المادة ١٩ منه : «ان شروط الدروس الليلية والمحاضرات والمناضرات تعين في قسم خاص من القسم الثاني من النظام ، وفي القسم الثاني الذي نشر في اليوم التالي : نصت المادة السادسة : «ان اللجنة العلمية هي التي تختار المحاضرين والمناظرين والمدرسين وتقيّد الدارسين وتنظم اوقات المحاضرات والمناظرات والدروس وتختار لها الكتب اللازمة » . (٤) ثم يادر المعهد إلى لصق اللافتات التي تحث على طلب العلم ونبذ الجهل ، وقد شاهدها (امين الريحاني) عند زيارته العراق في اوائل سنة ١٩٢٢ ، ملصقة على جدران المحلات في شارع الرشيد : (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) و(العلم أساس العمران) و(تهذب وابتغ ماشئت) و(تعلم يافتى فالجهل عار) . وقد كتب عند باب السينما على اللوحة التي تعلن الرواية الاخيرة : (بالعلم نحيا وبالجهل نموت) . وفي الوقت نفسه باشر المعهد بفتح مدرسة في داخل بنيته لتعليم الاميين مجاناً ، وبعد اسبوع صار المعهد يشرف على اربع مدارس في بغداد ... وكانت تضم الطلبة من ابناء الطبقة الفقيرة الذين يشتغلون

(١) تنظر جريدة لسان العرب في ١٩٢١/١١/٨ .

(٢) تكونت الهيئة من علاء الدين النائب وحسن النقيب ومحمد الباقر الحلبي وحمدني الباجه جي وسيد ابراهيم الواعظ وصادق حبة وحسين فوزي ومحمد حسن حبة وتوفيق السويدي وسيد جعفر حمدني واحمد عزت ونوري فتاح ومحمد جعفر الشيبلي وفائق شاكر وثابت عبد النور .

(٣) جريدة لسان العرب في ١٩٢١/١١/٨ .

(٤) جريدة لسان العرب في ١٩٢١/١١/٩ .

نهاراً « (١) . وقد زار الريحاني إحدى مدارس المعهد فذكر انه رأى طلابه قد قسموا على الصفوف حسب السن ، كما شاهد اقبال الناس على الدراسة حيث امتلأت الصفوف بالدارسين في ليال معدودات ، فكان كل صف يضم ما بين ٧٥ - ١٠٠ دارس ، وقد سأل بعض الطلاب عن سبب مجيئه إلى المدرسة - وكان كاسباً - فقال : « ان الزمان قد تغير والذي لا يحسن القراءة والكتابة يحتقره الناس » ، واجاب عامل بقوله : « عار علينا ونحن نطلب الاستقلال ان لانحسن القراءة والكتابة ! » (٢) .

كانت الدراسة في المعهد مقسمة إلى ثلاثة فصول كل فصل يسمونه (دورة) ، يتعلم الدارس في الدورة الأولى : (قراءة واملاء وحساب ومبادئ معلومات أرضية (جغرافية) ومبادئ معاومات مدنية) ، وفي الدورة الثانية : (قراءة واملاء وحساب وجغرافية وتاريخ ومبادئ الصرف والنحو ، ومعلومات مدنية) وفي الدورة الثالثة : (قراءة واملاء وانشاء وحساب وتاريخ وجغرافية وصرف ونحو ومعلومات مدنية ومبادئ هندسية) (٣) . ولقد رأى مجاس ادارة المعهد انه لا يمكن من تحقيق مبادئه الاجتماعية اذا لم تستتر الاكثرية بنور العلم الصحيح وتتلقن مبادئ الاخلاقية الراقية ، فكان الطلاب يلقنون مع الدروس - حب الوطن من الايمان - حب النظافة من الايمان - طلب العلم من المهدي إلى اللحد - مقت الكذب واحتقار الكذابين - حب الخير وعمله « (٤) .

وكان للمعهد نشاط ثقافي ملموس حيث قرر ارسال شاين فقيرين على نفقته للدراسة في خارج القطر (٥) ، وقام طلابه بتمثيل رواية وفود العميان ،

(١) ينظر امين الريحاني ، ملوك العرب ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٢) ينظر المصدر نفسه ص ٤٠٨ .

(٣) ينظر ملوك العرب ص ٤٠٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤٠٥ .

(٥) تنظر جريدة لسان العرب في ١٢/١/١٩٢١ .

حيث القى (الرصافي) قصيدة بعنوان (إلى الشبان) وذلك خلال تمثيل الرواية (١). كما اقام مهرجان (سوق عكاظ) تخليداً لمفخرة من مفاخر العرب في الجاهلية (٢). ان مشروع المعهد خطوة تقدمية لم يكتب لها التوسع والبقاء « مشروع تعليم بدأ بثلاثين طالباً في غرفة صغيرة من المعهد ، فعم في سنة واحدة مدن العراق الكبيرة كلها من البصرة إلى الموصل ، وتجاوز عدد الاميين الذين يتعلمون ليلاً مجاناً الخمسة الآف (٣) . » وقد رافق هذه الحركة نشاط اجتماعي عجيب - كما رأينا - وقويت الحركة الكشفية بين الطلاب الاميين حتى وجدنا مدارس الاميين تغذي العرض الكشافي في سنة ١٩٢٣ بعدد عديد من طلابها « (٤). هكذا كان موقف فئة من الشعب في عشرينات هذا القرن - من الامية ، فقد رأت ان مكافحة هذا الداء هو السبيل الصحيح نحو التقدم ، وقد بينا في مقدمة هذا البحث ان بين الامية والتخلف علاقة جدلية ، فالامية سبب من اسباب التخلف ، والتخلف يزيد في الامية . فماذا كان موقف الحكومة ؟ لم تعر مثل هذا المشروع الحيوي الا بعض اهتمام فقد اوعزت للبلديات التي في منطقتها مدارس تعود للمعهد العلمي بمساعدتها ببعض المبالغ (٥)، وفي السنوات التالية قامت وزارة المعارف بتخصيص بعض المبالغ للقائمين بها ، ففي سنة ١٩٣١ / ٣٠ الدراسية خصصت لمكافحة الامية مبلغ (١٢٣٣) ديناراً أصاب منها المعهد العلمي (٦٧٥) ديناراً لاغير . وفي السنة التالية خصصت مبلغ (١٢٨٢) ديناراً صرفت للمعهد العلمي والتدريسات الليلية في منطقة بغداد (٥٠٠ و ٨٩٠) دينار ووزعت بقية المبلغ على منطقة الموصل والبصرة . اما في سنة ١٩٣٣ / ٣٢ فقد وزعت (١١٤١,٢٥٠) ديناراً على الأولوية (٦) حيث انتهى قياد مشروع محو الامية إلى اللجان المدرسية فظهر على سيره آثار التفكك والانحدار» (٧).

- (١) تنظر جريدة لسان العرب في ١٩٢١/١٢/٢٣ .
- (٢) ملوك العرب ص ٤٠٦ .
- (٣) ملوك العرب ص ٤٠٩ - ٤١٠ .
- (٤) جريدة العراق في ١٩٣٤/١١/٦ .
- (٥) ملوك العرب ص ٤١٠ .
- (٦) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٣٠/٢٩ - ١٩٣٣/٣٢ ص ٧٥ .
- (٧) جريدة العراق في ١٩٣٤/١١/٦ .

وهكذا وثد مشروع المعهد العلمي في مكافحة الامية لأن الحكومة لم تفكر في الأمر بجدية ، وليس لها خطة مرسومة لاستئصال شأفة هذا الداء، والتقارير الرسمية تثبت صحة قولنا حيث تقول احداها «نشطت حركة تعاليم الاميين خلال السنوات الاخيرة وانتشرت خارج المدن الكبرى واشترك طلاب دار المعلمين والمدارس الثانوية والمتوسطة للقيام بأعبائها ففتحو الصفوف لتعليم الاميين بتكاليف بسيطة ، وقد اهتمت وزارة المعارف بهذه المكافحة بصورة خاصة وخصصت في ميزانيتها لسنة ٣٣ / ١٩٣٤ مبلغاً قدره (٢٥٠٠) دينار ويؤمل زيادة هذا المبلغ فيما لو توسعت هذه الحركة المباركة » (١).

أرايت كيف تكون اللامبالاة ؟ أن محو الامية لا تتم بمثل هذه الصورة على مدى عشرات السنين ، الحكومة ترك الطلاب لكي يقوموا بمثل هذه المهمة العسيرة ، مكتفية بمد القائمين بها ببعض المال ومسلمة القيادة الى «مديري المدارس النهارية لقاء مخصصات، وقيام الطلاب بالتدريس شائناً، ولما كان هؤلاء رهن واجباتهم المدرسية والاختبارية طوال السنة ، فقد صار التدريس في هذه المدارس بصورة غير مرضية وانتهت السنة مكلفة بفشل ذريع» (٢). ويمكننا ان نستكشف مظاهر هذا الفشل من التقرير السنوي للمعارف الذي يحاول ستر هذه الحقيقة فيقول : «دلت النتائج على ان حركة مكافحة الامية في العراق مكفولة بالنجاح حيث كان التهافت من قبل الاميين على المدارس المسائية لارتشاف مناهل العلم شديداً خاصة في النواحي والقرى . وبعد أن يبين التقرير اعتمادات المكافحة للسنوات ٣٣ / ١٩٣٤ - ٣٥ / ١٩٣٦ يذكر عدد المراكز فيقول : انها كانت في سنة ٣٤ / ١٩٣٥ (٢٣١) مركزاً منها (٢٠٧) مراكز للذكور و(٢٤) مركزاً للاناث. وفي سنة ٣٥ / ١٩٣٦ نزل عدد المراكز الى (١٧٧). منها (١٦٦) للذكور و(١٧) للاناث، ويعزى النقص

(١) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٣٠/٢٩ - ١٩٣٣/٣٢ ص ٧٥ .

(٢) جريدة العراق في ١١/٦ / ١٩٣٤ .

في عدد المراكز الى قلة الاعتمادات في الميزانية « (١). وقد فضحت ذلك الفشل جريدة العراق في مقال افتتاحي تحت عنوان «مشروع مكافحة الامية في النفس الاخير!» وقد أبان المقال «تقتير الحكومة على مدرسي الاميين في المدارس الليلية وهم معلمو المدارس النهارية انفسهم حيث خصصت لهم اجوراً زهيدة فترت همتهم واعلنوا رغبتهم عن الاستمرار بتدريس الاميين « (٢).

في الوقت الذي قام المعهد العلمي في بغداد بحركته ضد الامية ، قام جماعة من اخواننا الاكراد في شمال العراق بتأسيس جمعية المعارف الكردية (كومه لي زانستي كوران) في السليمانية سنة ١٩٢٦م حيث انخرط في عضويتها كثير من الاشراف والوجوه والاعنياء والمثقفين ، وقامت الجمعية بعدة نشاطات ثقافية اهمها (مكافحة الامية في السليمانية) حيث فتحت مدرسة لتعلم الاميين ، تطورت اعمالها سنة ١٩٣٣ الى درجة كبيرة من الرقي ووصل تلاميذها الى (٢٤٠) تلميذاً (٣)

كذلك جرت محاولات اخرى لمكافحة الامية في ناحية (خورمال) وقرى ناحية قادر كرم . لم يكتب لجمعية المعارف الكردية ولا للمحاولات الأخرى دوام النجاح ، لأنها لم تكن لتلقى من الدعم الحكومي مايبقي لها ديمومتها ، فذهبت ريحها وتلاشت بموت القائمين بها او انتقالهم إلى محل آخر او توظيفهم (٤) كما حدث للقائمين بالمعهد العلمي حيث توظف عميده سنة ١٩٢٧ (٥) وتفرق اعضاؤه .

وفي الثلاثينات جرت محاولة اخرى من جانب الشعب لمحو الامية لم

- (١) ينظو التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٣٥/ ٣٤ - ١٩٣٦/٣٥ ص ٣٦
- (٢) جريدة العراق في ١٩٣٤/١١/٦ .
- (٣) شاكر فتاح ، صفحات مشرقة من تاريخ مكافحة الامية في كردستان ، مجلة الحكم الذاتي العدد ٥ ص ٣ .
- (٤) المصدر نفسه ص ٣ - ٤ .
- (٥) مير بصري ، اعلام اليقظة الفكرية في العراق الجزء الاول ص ١٤٤

لم تتخذ طابع الجد وكانت اهداف القائمين بها سياسية، ففي سنة ١٩٣٢ اصدر جماعة جريدة الاهالي ، وهم: (حسين جميل وعبد القادر اسماعيل وعبد الفتاح اسماعيل ومحمد حديد وغيرهم) كراسة بعنوان (الشعبية) المبدأ الذي تسعى «الاهالي» لتحقيقه، جاء فيها تحت عنوان: المبادئ الشعبية والاجتماعية:

١- في التربية: أ- التعليم الابتدائي المجاني العام. ب- مكافحة الامية. (١).
« و ارادت هذه الجماعة أن تستدرج إلى خيمتها بعض الشخصيات العراقية المرموقة، ولم تجد أفضل من التستر وراء جمعية كانت ظاهرياً اجتماعية وغير سياسية.. وهكذا نشأت (جمعية السعي لمكافحة الامية) وكان جعفر ابو التمن هدفها الاول من بين الشخصيات الوطنية للانخراط فيها، وقد حالفها التوفيق في مسعاها حين انتسب اليها (٢)» وقبل على ان يكون من بين مؤسسيها بعد أن تأكد ان غاية الجمعية غير سياسية باعتباره معتزل العمل السياسي وقد انتسب اليها بعدئذ نصره الفارسي وفخري الجميل وغيرهما من الشخصيات. وقد انتخب ابو التمن رئيساً للجمعية ونصرة الفارسي نائباً للرئيس وعبد الفتاح ابراهيم سكرتيراً ومحمد حديد محاسباً (٣).
كرس جعفر نشاطه في جمعية السعي، فدعا عدداً كبيراً من رجال العاصمة إلى تناول الشاي في داره ، بينهم رجال الصحافة وتباحث معهم في موضوع مكافحة، وحثهم على معاضدته، ودعاهم إلى ابراز دور الجمعية ، ودعوة الناس إلى محو آثار الجهل والامية، كما سعى لدى وزارة المعارف لاعتبار هذه الجمعية خادمة للمنافع العامة وقد ايدت الوزارة المذكورة الطلب الذي قدمه جعفر بهذا الخصوص، وأقر مجلس الوزراء اعتبار هذه الجمعية خادمة للمنافع العامة (٤). ويظهر أن الحكومة وان كانت ايدت جعفرأ في

- (١) د. فاضل حسين ، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ص ٦ - ٧ .
- (٢) عبد الحميد العلوجي ، الامية بين الماضي والحاضر . مجلة المعرفة العدد ٢ ص ٦ .
- (٣) عبد الرزاق عبد الدراجي ، جعفر ابوالتمن ودوره في الحركة الوطنية ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .
- (٤) المصدر نفسه ص ٣٧٨ .

مساعدته الحميدة الا أنها كانت في ريب من أمر الجمعية ولذلك قرر مجلس مديري المعارف المنعقد في ٣٠ تموز سنة ١٩٣٤ ان لا « تنشر النشرات التي تصدر من جمعية السعي لمكافحة الامية في مدارس المكافحة الا بوساطة مديرية المعارف العامة » (١).

لم يكتف جعفر بهذا النشاط داخل العاصمة بل عمد « إلى اقامة فروع لها في مناطق اخرى من العراق ، وقد اعتمد في ذلك على مؤيديه من اعضاء الحزب الوطني العراقي المنحل ، وعقد مؤتمراً عاماً للجمعية في بغداد حضره مندوبو الفروع من البصرة والناصرية والكوفة والحلة وبعقوبة واطباء الهيئة الادارية ومندوبو فرع بغداد ، وقد جرى التداول في هذا المؤتمر في انجع الوسائل لمكافحة الامية والصعوبات التي تواجه هذا العمل ، واتخذ المؤتمر في نهاية جلساته عدة مقررات لمكافحة الامية » (٢) .

وبعد ان كادت اعمال الجمعية تثمر وتؤتي اكلها ، كشفت جماعة الاهالي عن غرضها الحقيقي وهو ضم جعفر اليها فكراً فتم لها ما ارادت ، وهكذا فشلت جمعية السعي في مساعيها لمكافحة الامية بانسحاب نصره الفارسي منها (٣) لتحل محلها جمعية الاصلاح الشعبي ، وهي جمعية سياسية ، اكتفت بذكر (جعل التعليم الابتدائي اجبارياً ومكافحة الامية) في البند الرابع من منهاجها (٤) وبقي حبراً على ورق وبقيت الامية في عتوها تصول في ارجاء القطر .

ونظراً للفشل الذريع الذي منيت به مكافحة الامية - كما ذكرنا - عقد مجلس مديري المعارف اجتماعاً في ٣٠ تموز سنة ١٩٣٤ (٥) ، واتخذ عدة قرارات لتدارك ما فات ، اهمها فتح صفوف نسائية لمكافحة الامية ، وفصل الراشدين عن الصغار في صفوف المكافحة الا اذا كان الجمع ضرورياً ، ومساعدة السجون

(١) التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٣٤/٣٣ ص ٣٨ .

(٢) عبد الرزاق عبد الدراجي ، المصدر السابق ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٣) مذكرات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ص ٢٩ .

(٤) د. فاضل حسين ، المصدر السابق ص ١٣ .

(٥) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٣٤/٣٣ ص ٣٨ .

بمخصصات المكافحة . على ان اجور المحاضرات التي قررها المجلس كانت زهيدة حيث تراوحت بين ١٥ - ٣٥ فلساً عن كل ساعة ، كما ان منهج الدراسة الذي قرره المجلس كان واطناً حيث اقتصر على القراءة فقط في المدة التي قصرت على سنتين . ومن هنا يظهر ان المعهد العلمي كان قد سبق الحكومة في مناهجه وتنظيماته وتدريبه ، وان مناهجه كانت اقرب إلى ما سمي فيما بعد بالتعليم الوظيفي (١) في حين اكتفت القرارات باقتصار الدراسة على محو الامية الابدئية في حدها الادنى . وهكذا وجدنا امر المكافحة يسير دون نمو على الرغم من اقبال الجماهير على مراكز المكافحة ورغبتهم في التعلم « بدليل الطلبات الكثيرة التي تقدم إلى ديوان وزارة المعارف وإلى مديريات المناطق في الالوية (المحافظات) في كل سنة حول فتح مراكز لمكافحة الامية » (٢).

وشهد العراق الحديث تجارب عديدة في الاربعينات وما بعدها ، لكنها جميعاً لم تؤت الثمار المطلوبة ، لانها كانت ناقصة ومبتورة اولاً ولان الحكومة آنذاك لم تكن جادة في تعليم الطبقات الكادحة خشية منها (٣) ، فقد اتجهت النية إلى تشريع قانون لمكافحة الامية فوضعت وزارة المعارف لائحة القانون سنة ١٩٤٦ ، ثم مرت ستان دون «رفعها الى المراجع المختصة للنظر فيها واخراجها الى حيز الوجود» (٤) ، وفي سنة ١٩٤٨ عهد امر اللائحة الى لجنة لاعادة النظر فيها ، وبعد دراستها وجدتها تسد الحاجة عند تنفيذها ، وازافت تعديلات عليها (٥) ، وبقيت اللائحة في رفوف الوزارة لم تر النور الى يومنا هذا !.

(١) التعليم الوظيفي : هو التعليم الذي يؤكد على ربط محو الامية بالعمل المهني وجعلها وظيفية في اكتساب المهارات المهنية وفي زيادة الانتاجية والمساهمة في التنمية (د. عبد العزيز البسام : دراسة عن استراتيجيات جديدة ص ٢٠٣).

(٢) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٣٤/٣٣ ص ٣٨ .

(٣) ابراهيم خليل ، محو الامية .. البداية والانطلاقة الشاملة . جريدة الجمهورية في ١٦/١٢/١٩٧٨ .

(٤) المعلم الجديد ، الجزء الاول ، ايلول ١٩٤٨ ص ٩٥ .

(٥) المصدر نفسه ص ٩٥ .

لم تكن مكافحة الامية من سياسة الدولة العليا لذلك لم تنل الاهتمام الجدي ، فلم يتطرق نظام وزارة المعارف رقم ١٩ لسنة ١٩٥١ الى ذكر الامية ، (١) وكانت (المعارف) تكتفي كل سنة برصد بعض المبالغ تصرفها على مراكز غير ثابتة للمكافحة تفتح ههنا سنة ، وهناك في سنة أخرى ، كما ان هذه المبالغ كان يعثرها المد والجزر ، فقد «بلغت المصروفات الحقيقية التي صرفت على مكافحة الامية سنة ١٩٤٦/٤٥ (٤١٤٣) دينار (٢)» ، في حين هبطت سنة ١٩٥٠ / ٤٩ الى (٣٠٠٠) (٣) . «وهناك محاولات اخرى في هذا الميدان ظهرت بوادرها في اواخر العهد المباد ، رأيناها شاخصة في مديرية مكافحة الامية والتعليم الاساسي التي وزعت نشاطها في مراكز التربية الاساسية (٤) في ابي غريب والشاكرية والوشاش » (٥) ، ويستدل من التقارير الرسمية ان هذه المراكز اضافة الى ما تقدمه من خدمات صحية واجتماعية وزراعية ، تقوم بمكافحة الامية على نطاق ضيق ، ففي مركز ابي غريب مثلا فتحت اربعة مراكز ، نجح منها منذ تأسيسه سنة ١٩٥٦ حتى قيام ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ (٢١٠) اميين تتراوح اعمارهم بين ٨ - ٤٥ سنة و (١١٢) أمية ، تتراوح اعمارهن بين ٨ - ٢٥ سنة وهو عدد ضئيل جداً لا يقرب بعدد الاميين في العراق يومذاك . أما المراكز الاخرى كمركز الوشاش والشاكرية في بغداد ومركز خرنابات في ديالى ومركز الموصل بين قريتي الراشدية والقاضية فكانت تقوم بالمهام نفسها على نطاق أضيق (٦) .

- (١) ينظر نص النظام في التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٥١/٥٠ ص ١١٧ .
- (٢) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٤٦/٤٥ ص ٣٥ .
- (٣) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٥٠/٤٩ ص ٣٤ .
- (٤) التربية الأساسية تهدف إلى مساعدة الذين حرروا من التعليم ، لتحسين أوجه حياتهم صحياً واجتماعياً وثقافياً ليصبحوا مواطنين صالحين (ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ٥٧ / ١٩٥٨ ص ١٨٧) .
- (٥) الامية بين الماضي والحاضر . مجلة المعرفة العدد ٢ ص ١٦ .
- (٦) ينظر التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ٥٧ / ١٩٥٨ ص ١٨٧ .

فشل محو الامية في العهد الملكي .

لم تثمر جهود تلك المراكز او الحملات التي قادتها فئة من الشعب لفترات محدودة في محو الامية في العراق الثمرة المرجوة ، فقد كان عدم تظافر الجهود وعجز الحكومة وتقصيرها وعدم اعتمادها خطة علمية مدروسة «سمة ذلك النشاط الذي امتاز بالتعدد الاداري والفني ، وكان الغالب على مراكز المكافحة طابع الارتجال في فتحها واضطراب السدوم فيها ونقص الاشراف عليها » (١) إلى جانب ان الاسلوب التقليدي كان السائد آنئذ ، فقد كانوا يظنون «ان تعليم الامي (الالفباء) يكفي لمحو اميته ، ولاشك ان تعليم الامي بهذا المستوى لا يلبث ان يرتد معه إلى الامية مرة أخرى ، ويذهب الجهد والوقت والمال سدى حتى المعلمين الذين اعدوا اعداداً تربوياً لتعليم الصغار يحتاجون إلى اعداد خاص ليستطيعوا ان يقوموا بتعليم الكبار (٢)» ، فقد كان الاهتمام منصباً على تعليم الاميين والاميات القراءة والكتابة بواسطة معلمي المدارس الابتدائية او الموظفين او الطلاب الذين لم يكونوا قد اعدوا لهذه المهمة ، بكتب اعدت للصغار . « فتعليم الكبار يختلف عن تعليم الصغار من نواح شتى ، فمن السهل ان يتقبل الطفل الصغير دوره كتلميذ يتلقى العلم من معلمه... وليس من السهل على الكبير ان يقبل هذا الدور ، ثم ان للكبير سابق خبرة بما يسمعه من المعلم من حيث المضمون ، وقد يعرف في بعض الجوانب اكثر مما يعرف المعلم ، وقد تختلف مفاهيمه عن مفاهيم المعلم مما يكون له اثر سلبي على عملية التعلم... ثم ان المعاني البسيطة التي يبدأ بها المعلم مع تلاميذه في المدرسة الابتدائية قد تكون بعيدة كل البعد عن تصورات الكبير عن عملية التعليم ، وقد تكون مثبطة لاهتماماته» (٣) اضافة إلى ذلك ان هناك دوافع تصرف الاميين عن التعلم اهمها : -

(١) د. عبد العزيز البسام ، المصدر السابق ص ١٧٦ .

(٢) صلاح الدين الشبخلي ، المصدر السابق ص ٥١ .

(٣) د. نجيب اسكندر ، المتغيرات الحاكمة في حملة محو الامية . التخطيط الزمني ص ٥٠٠ .

١ - اعتقاد الأمي انه تقدم في السن وان فرصة التعليم محدودة بوقت معين وانها قد فاتته في الكبر. ٢ - خوف الأمي من الوقوع في الخطأ امام الآخرين مما يعرضه للسخرية والاستهزاء ٣ - قلة الوقت والجهد المتبقي لديه للتعلم بعد كفاحه لقضاء حاجاته اليومية ٤ - خلو البيئة التي يعيش فيها الأمي غالباً من العوامل التي قد تثير فيه الرغبة في التعلم كوجود ظروف اقتصادية او اجتماعية او سياسية لا بد فيها من استعمال مهارات القراءة والكتابة (١). كما ان هناك شعور يلازم الأمي وهو انه دون منزلة المتعلمين ، وكأنه يحمل وصمة يريد ازالتها حينما يأتي لمراكز المكافحة ، وعندما يلتحق بالدراسة يصطدم بعقبة اخرى ، او عامل غير مشجع ذلك ان الكتب التي يدرسها تكون قد اعدت للصغار مما يؤدي إلى شعوره بازدراء نفسه ، وكثيراً ما كان المحاضر يؤنب الأمي حينما يجده بطيء التعلم بقوله : هذه دروس اطفال في سن اولادك وهم يفهمونها وانت لاتفهمها ، إلى امثال هذه العبارات التي كانت تحط من اقدار الاميين وتفتت عزائمهم ، اضافة إلى الفكرة الشائعة بين المجتمع بأنه طلب العلم مقتصر على الصغار وكأنه عار على الكبير ، وهم يرددون المثل العامي: (حد الشاب ودوه للكتاب) ، مع ان هذا مخالف لما ورثناه من اسلافنا وما جاء به تراثنا .

واما الكتاب فكان لايشبع رغبات الاميين ، لانهم ذوو اعمار مختلفة تراوح بين الصبا والشباب والكهولة ، وهم من بيئات مختلفة ، فكان هذا مدعاة سأم الكثيرين وتخلفهم عن متابعة التعلم ثم انقطاعهم ، كما ان الاميات كن ربات بيوت او عاملات او فلاحات ولهن رغبات وميول وطموح مختلف عن الرجال او عن طالبات المدارس فكان الكتاب عاجز عن التعبير عن مشاعرهن او طموحهن او رفع مستوياتهن فهو كتاب قد وضع لاطفال في سن السادسة وليئة غير بيئة العراق .

ولا بد من اعطاء فكرة واضحة عن الكتاب الذي كان يدرس في مراكز المكافحة في العهد الملكي وطريقة تدريسه لنرى اثره السلبي في المكافحة يومئذ

(١) د. محاسن رضا احمد ، برجمة المواد التعليمية لمحو الامية وتعليم الكبار ص ٣٥ .

وهو كتاب (مبادئ القراءة الرشيدة) تأليف محمد عبيد (١) فهو كتاب في التهجية للاطفال ، ويعتمد الطريقة الابدجية التي ذكرنا انها كانت متبعة في الكتابات ، ويبدأ بتعليم اسماء الحروف مع الصور ، ففي الدرس الاول يعلم الحروف (أ . أرنب . ب بطة . ت تاج . ث ثور . ومن تمريناته (٢) : كم نقطة على اثناء ؟ وكم على اثناء ؟ واين توضع نقطة الباء ونقطة النون ؟ وفي الدرس الثاني يعلم الحروف : (د . ديك . ذ . ذئب . ر . رجل . ز . زرافة . ج . جمل . خ . خروف ثم يستمر بتعليم الحروف حتى ينتهي منها في الدرس الخامس (٣) ، حيث يبدأ بتعليم الحركات . ومما يلاحظ ان كلمات الدروس وتمريناتها تبقى مفككة الحروف هكذا : (زَرَعَ ، عَدَدٌ . أَلْ بِنُ تَ ، تَضَّ حُ كُ) حتى الدرس السادس والعشرين حيث يباشر باعطاء صور الحروف في اول الكلمة وآخرها ووسطها .

ويؤخذ على الكتاب انه وضع للاطفال ، فكلماته وموضوعاته مما لها اتصال بحياتهم ، وهذا مما لم يكن يشوق الاميين واغلبهم كبار ، كما انه ليس له اتصال بمهنتهم وحياتهم اليومية ، وقد دفع هذا شخصاً في الثلاثينات يدعى (يحيى ق) (٥) إلى تأليف كتاب دعاه ب(كتاب الاميين) يرشد الناس إلى تعلم مبادئ القراءة والكتابة دون معلم ، ومع كثرة البحث لم اعثر عليه لارى الفرق بين الكتابين ، على ان (جريدة العراق) قرظت الكتاب وقالت : إنه يعلم الامي اولا بحروف الهجاء ، ثم كلمات موجزة ثم عبارات مألوفة ، وودت الجريدة

(١) عثرت على الطبعة السابعة من الكتاب في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ، وقد طبع في

مصر سنة ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م .

(٢) مبادئ القراءة الرشيدة ص ٥ .

(٣) مبادئ القراءة الرشيدة ص ١٤ .

(٤) مبادئ انقراءة الرشيدة ص ٥٢ .

(٥) كتبت عنه جريدة العراق في عددها الصادر في ١٧/١٩/١٩٣٤ تقول : « وقد كان يحيى

افندي قاف قد وقف نفسه على تدريس ابناء امته في الجيش وفي السجن وفي المدارس الاهلية

من دون ان يتقاضى على ذلك اي اجر ، بل هو يرفض باياه وشمم ان يتقاضى اي اجر

يدفع له . »

لو تطلع عليه لجنة كتب التعليم في وزارة المعارف وتقره التعليم في الصفوف الاولى (١) وفي عدد آخر (٢) ذكرت انه يتماشى مع رغبات الاميين والفاظه منتزعة من بيئتهم ، وان الامي الكبير السن يهزأ عندما يقرأ كالصغار (ب : بطة) و (ج : جمل) وما اليها . ومن هنا يظهر ان الفرق بين كتاب الاميين والقراءة الرشيدة جزئي ، فكلاهما يسيران على الطريقة الابدجية ، وفلسفتها « تقوم على شيء واحد هو السيطرة على عناصر الكلمات ، وهي الحروف اولا ، ثم المقاطع ، والغرض من ذلك تمكين المبتدئين من مواجهة جميع الكلمات والنطق بها » ، (٣) فاذا علمنا الحروف بأسمائها « لا يبقى لعقل الدارس سبيل الى تعلم القراءة سوى حفظ كل هجاء ومقطع على حدة ، ولاشك ان هذا يكون حملا ثقيلاً عليه بقدر ما هو عقيم في حد ذاته » (٤). كما أن « الحرف وحده ليس له معنى يفهمه المتعلم ، فيصعب عليه حفظه ، ومن أجل ذلك يستعين بعض المعلمين بوسائل كثيرة على تحفيظ المتعلمين الحروف الهجائية ، ومن هذه الوسائل قولهم : الألف تشبه العصا ، والياء تشبه البطة . الخ ومن هنا نجد المتعلم قد لا يستطيع تعلم القراءة بمجرد نطق اسماء حروف الكلمة ، اذ ينبغي ان يتوصل بطريقة ما إلى النطق بالكلمة ... فهي تعني كل العناية بالحروف على حساب الكلمات وبالرسم الاملائي على حساب المعنى في حين تؤكد التربية الحديثة على البدء في تعليم الدارس ما هو معروف له ، لأن الخبرة السابقة يجب أن تكون اساساً لكل خبرة ، والباحثون في ميدان القراءة يقررون اليوم ان الغرض من تعلم القراءة هو ادراك ما في الكلمات والجمل من معان ، ولما كانت

(١) جريدة العراق في ١٠/٦/١٩٣٤ .

(٢) الصادر في ١٠/١٧/١٩٣٤ .

(٣) جاسم محمود الحسون ونائل محمود السعيد ، مرشد المعلم لكتاب القراءة للحملة الوطنية

الشاملة (مرحلة الاساس) ص ٩ .

(٤) ساطع الحصري ، طريقة تعليم الالفباء ص ١٦ .

الطريقة الابجدية تحفل بالحروف دون المعاني كسان تحقيق هذا الغرض في ظل التعلم أمراً عسيراً . ولذلك تعد طريقة بطيئة لاتلائم التطور السريع (١).

محو الامية في العهد الجمهوري

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ :

دخلت مشكلة الامية مرحلة جديدة بعد ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ، اذ بدأ شيء من الاهتمام بأمرها اكثر من ذي قبل ، فقد نصت المادة العاشرة من قانون وزارة التربية والتعليم رقم ٣٩ لسنة ١٩٥٨ الذي شرع بعد الثورة على أن «التعليم الابتدائي الزامي ويطبق في الاماكن التي تعلنها الوزارة عندما تتوفر الوسائل الضرورية ، ومن يخالف ذلك من اولياء التلاميذ يعاقب بغرامة لاتتجاوز ثلاثة دنانير » (٢) وقد تطرق نظام وزارة التربية والتعليم رقم ١٩ لسنة ١٩٥٨ إلى مكافحة الامية ، في الفقرة (١) من المادة الثالثة ، عند ذكره واجبات مدير التعليم الابتدائي والتربية الاساسية فقال : «ويكون مسؤولاً عن مكافحة الامية ونشر التربية الاساسية وتعليم الكبار مستعيناً بجميع وسائل التثقيف الحديثة بالتعاون مع الادارة المحلية » (٣) . وقد اقبل الدارسون على المدارس النهارية والمسائية ومراكز محو الامية ، يؤيد ذلك ماورد في الاحصاءات الرسمية « ان عدد التلاميذ المقبولين في المرحلة الابتدائية سنة ١٩٥٨/٥٧ سنة ما قبل الثورة (٤٣٠) الف تلميذ، اما في سنة ١٩٦٣/٦٢ مثلاً فقد ارتفع العدد إلى (٨٤٩) الف تلميذ اي بزيادة قدرها ٩٨٪ (٤) ، وفي سنة ١٩٦٥/٦٤ «ارتفع العدد إلى (٩٢٦) الف تلميذ ، اي بزيادة قدرها ١١٥٪» (٥) .

(١) جاسم محمود الحسون ونائل محمود السعيد ، المصدر السابق ص ٩ - ١٢ باختصار وتصرف

(٢) ينظر نص القانون في التقرير السنوي لوزارة المعارف لسنة ١٩٥٨/٥٧ ص ٢١٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٧ .

(٤) اإحصاء التربوي لسنة ١٩٦٣/٦٢ ص ١٣ .

(٥) اإحصاء التربوي لسنة ١٩٦٥/٦٤ ص ٢٩ .

على أن مراكز محو الامية لم تكن عند مستوى طموح ابناء الشعب الذين اخذتهم العزة بتحررهم السياسي من نير الاستعمار ، وتطلعوا إلى أن يضاهاوا الامم المتقدمة ، فعلى سبيل المثال بلغ عدد مراكز مكافحة الامية بما فيها مراكز التربية الاساسية في سنة ١٩٦٣/٦٢ (٣٣٠) مركزاً للرجال و(٥٦) مركزاً للاناث وعدد دارسيها (٢٤٢٩٤) طالباً و(٣٤٣١) طالبة (١) ، في حين نقص عدد المراكز في سنة ١٩٦٥/٦٤ فأصبحت (٣٢٣) مركزاً فقط ، منها (٢٨١) مركزاً للذكور و(٤٥) مركزاً للاناث ، ومجموع الدارسين (٩٦٣٥) منهم (٨٧٠٤) طلاب ، و(٨١) طالبة (٢) .

ومنه يظهر ان المراكز كانت بين المد والجزر في حين كان المؤمل ان تتوسع المراكز وتزداد سنة بعد اخرى لاسيما بعد ان تحررت البلاد سياسياً. وقد احسنت وزارة التربية والتعليم صنفاً في هذه الفترة حين وضعت بين الاميين قراءة خاصة بهم ، تلك هي (قراءة الراشدين) ، فقد مر بنا ما كان يعانیه الدارسون من كتب القراءات السابقة .

بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ :

غير ان التطور السريع في محو الامية وحل هذه المشكلة التي بقيت قائمة عدة قرون حلاً جذرياً قد حدث بعد قيام الثورة الرائدة ، ثورة ١٧ - ٣٠ تموز سنة ١٩٦٨ ، حيث سارت المكافحة في منعطف جديد يؤدي إلى نجاحها ، فقد اخذت القيادة السياسية للحزب والثورة على عاتقها محو الامية وازالتها من الوجود في القطر العراقي وفق طرق علمية مدروسة ، فالامية - على الرغم مما نالها من ضربات غير مميتة زهاء نصف قرن - بقيت منتشرة بين قطاع كبير من سواد الشعب وهو القطاع المنتج من الفلاحين والعمال ، فوفق تعداد سنة ١٩٦٥ بلغ عدد الاميين (سن ١٠ سنوات فأكثر) : ٣,٦١٢,٠٠٠ من مجموع مقداره : ٥,١٨١,٠٠٠ ذكوراً واثناً في السن نفسه ، اي

(١) الاحصاء التربوي لسنة ١٩٦٣/٦٢ ص ١٢٧ .

(٢) الاحصاء التربوي لسنة ١٩٦٦/٦٥ ص ٢٤٧ .

ما تقرب نسبه من ٧٠٪ (١) . ومن هنا فان المشكله مازالت قائمه ، غير انها نالت اهتماماً كبيراً منذ بداية الثورة ، وخصت في تشريعات الدوله بالذكر فقد نصت المادة السابعه والعشرون من الدستور الموقت لسنة ١٩٧٠ على التزام الدوله بمحو الاميه ، كما نص ميثاق العمل الوطني الذي اعلنه السيد رئيس الجمهوريه في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٧١ على «ان الثورة تستهدف في مرحلتها الراهنة تطبيق خطتها في الزاميه التعليم على صعيد المرحله الابتدائية» (٢) ، ثم بين الميثاق ان «القضاء على الاميه هو أحد الشروط الاساسيه لتحقيق التغيير الجذري في الاوضاع الاجتماعيه باتجاه التقدم» (٣) .

ان حكومه الثورة رأت ان من المستحيل محو الاميه وازالتها من الوجود بالطرق التقليديه التي كانت سائده بالأمس عن طريق فتح المراكز لمكافحتها مادام التعليم الابتدائي قاصراً عن استيعاب جميع من هم في سن الدراسة ، لان ذلك يعني وجود مصدر يضيف للاميين كل سنة اعداداً هائله ، كما رأت ان ذلك لا يتم الا عن طريق التعليم الالزامي وتهيئه الاسباب الكفيله لنجاحه ، وقد ذكر التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن هذا صراحة فقال : « ان المجتمع بسبب عدم تطبيق الزاميه التعليم الابتدائي حتى الآن ، يفرز في كل سنة اعداداً جديده من المواطنين المحرومين من التعليم .. وعلينا ان نعرف بدقه نسبة مانحقه في محو الاميه ... قياساً إلى نسبة هذه الافواج الجديده من الاميين ، فاذا كانت نسبة مايتحقق من محو الاميه اقل من نسبة هذه الافواج الجديده فمعنى ذلك اننا لم نحقق تقدماً في «محو الاميه» وانما نبذل الجهود لتقليصها والحد من انتشارها» (٤) . لذلك بادر المسؤولون في وزاره التربيه إلى التوسع في التعليم الابتدائي « وإلى تسريع

(١) كتاب مؤتمر بغداد لمحو الاميه الالزامي ص ١١٠ .

(٢) ميثاق العمل الوطني ص ٤٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٥ .

(٤) التقرير السياسي ص ١٥٥ .

توفير المناخ اللازم للتعليم الالزامي الذي تناوله التقرير السياسي بالبحث والدراسة وتكييف مستوى التعليم واساليبه في هذه المرحلة ليكون اكثر انسجاماً مع متطلبات البيئة واحتياجاتها « (١)، ولهذا صدرت تعليمات تدعو إلى قبول جميع المتقدمين للتسجيل في المدارس الابتدائية ممن هم في سن الدراسة كما صدرت «عدة تعاميم إلى ادارات المدارس تدعو إلى تسهيل قبول الاطفال في الصفوف الاولى واستقبالهم بالبشر والرحاب وعدم ارهاقهم بالتكليف ونبد كل أساليب الشدة والقسوة» (٢) وبذلك تحققت ديمقراطية التعليم « بتعميمه ونشره على أوسع نطاق بحيث شمل جميع الناس» (٣) فتحققت زيادة في عدد المقبولين عما كان عليه قبل الثورة، ففي سنة ١٩٦٢/١٩٦١ كان عدد الاطفال الذين دخلوا الصف الاول (٢٠١١٩٤) في حين أصبح عددهم (٣٠١٢٤٥) في سنة ١٩٧٢/٧١ أي بزيادة مقدارها ٥٠ ٪ (٤). ثم خطت الحكومة خطوات ايجابية أخرى « بالغاء التعليم الاهلي وتطبيق مجانية التعليم في جميع مراحلها وتوسيع التعليم الفني والمهني ومراجعة المناهج والكتب ومحاولة اصلاح نظم الامتحانات» (٥) وطبيعي أن هذه الخطوات لها علاقة وثقى بمحو الامية ، فان كفاءة التعليم الابتدائي تعني استيعابه جميع من هم في سن الدراسة ومعنى هذا اننا سدنا منبعاً طالما كان يرفد الاميين برافد فياض. يضاف إلى ذلك تحسن أحوال الناس المعاشية بعد الثورة وزيادة القوة الشرائية وانفتاح أبواب العمل وانعدام البطالة . كل ذلك قلل نسبة التسرب الذي يؤدي إلى الحد من فاعلية التعليم الابتدائي وجدواه في العهد المباد كما مرّ بنا .

إلى جانب هذه الانجازات في مجال التعليم ، قام المسؤولون بانجازات في مجال محو الامية لاتقل أهمية عن تلك ، ممهدين السبيل للقيام بحملة وطنية شاملة لاتبقي

(١) انجازات وزارة التربية في العام السادس لثورة ١٧ تموز اصدار وزارة التربية ص ٦٩ .

(٢) انجازات العام السادس لثورة ١٧ تموز ص ٧٣ .

(٣) د. بشير البكري . التعليم الوظيفي ومحو الامية ، مجلة اراء في تعليم الكبار . كانون

الثاني ١٩٧٢

(٤) ينظر الاحصاء التربوي لسنة ١٩٧٢/٧١ ص ٢٨

(٥) د. مسارع الراوي ، التكامل بين حملات محو الامية والتعليم النظامي ص ٢٦٦

للامية في القطر العراقي أثراً. ولا بد لنا ونحن نريد أن نصل بالقارىء إلى هذه الحملة أن نبين أهم التشريعات والاساليب والطرق التي اتبعت للوصول إليها ليتبين القارىء الفرق عما جرى بالأمس وما جرى ويجري اليوم :

١ - التشريع والتخطيط لمحو الامية :

لكي تسير امور الامية على مايرام ينبغي أن توضع لها تشريعات وخطط وأنظمة لا أن يترك أمرها للصدف والظروف كما كان يجري في العهد المباد. ولقد كان انجاز قانون محو الامية رقم ١٣٥ لسنة ١٩٧١ خطوة تنموية على طريق الحملة الشاملة ، وثورة على الجهل والتخلف. ثم أعقبه تشكيل الهيئة العليا لمحو الامية بالمرسوم الجمهوري المرقم ٢٠٣ والمؤرخ في ٢٠ / ٤ / ١٩٧٢. واستناداً إلى قانون محو الامية المذكور، وضعت الهيئة المذكورة في اجتماعها الاول نظام محو الامية رقم (٣٣) لسنة ١٩٧٣ ثم أقرت تشكيل الاجهزة الادارية والفنية. والهيئة العليا تتمتع بشخصية معنوية مستقلة ادارياً. ومن اختصاصها: وضع الخطة العامة لمحو الامية ، وتقدير النفقات لتنفيذها ، ولها حق تملك الاموال المنقولة وغير المنقولة وقبول الاعانات والهبات والتبرعات والتصرف بها لتحقيق أغراضها. ورغبة من وزارة التربية في تمشية أمور محو الامية بصورة صحيحة في نظام وتنسيق مع أعمال الوزارة الأخرى ، رأت أن تكون هيمنتها لتسيير هذه الامور من خلال جهتين هما :

١ - الهيئة العليا لمحو الامية واجهزتها العاملة في سكرتارياتها العامة .

٢ - المديرية العامة للتعليم الابتدائي ومحو الامية وما تضمنه من الاجهزة فيها. (١) إلى جانب الهيئة العليا المار ذكرها ، تقوم مديريات الاقسام بالعمل في مجال محو الامية ، وبما أن سكرتير عام الهيئة العليا هو المدير العام للتعليم الابتدائي ومحو الامية فانه يتولى الاشراف على محو الامية باعتبارها من واجباته التي اناطها به

(١) د. عامر الكبيسي وجماعته ، تقرير لجنة دراسة الهياكل والتنظيمات الادارية للحملة الوطنية

الشاملة ص ٦٥٦ - ٦٥٧ باختصار وتصرف .

نظام وزارة التربية رقم ١٣ لسنة ١٩٧٢ ، فقد جاء في المادة العاشرة منه أنه «يكون مسؤولاً أيضاً عن اعداد خطط ومناهج محو الامية والتعليم الاساسي والوظيفي للكبار واعداد وتدريب العاملين فيه والاشراف على مراكز محو الامية وعلى مراكز التعليم الاساسي والتعليم الوظيفي ...» (١)

أما الاجهزة المسؤولة عن ذلك واختصاصاتها فهي مديريات الاقسام : مديرية اعداد العاملين في التعليم الوظيفي وقسم اعداد برامج التعليم الوظيفي للكبار وقسم مناهج ووسائل التعليم الوظيفي للكبار (٢) .

٢ - اعداد المعلمين وتدريبهم على تعليم الكبار :

رأينا القائمين بمكافحة الامية بالأمس لم يكونوا معدين لتعليم الكبار ، فمعظمهم من معلمي المدارس الابتدائية المعدين لتعليم الصغار أو الموظفين أو طلاب الثانويات والمتوسطة ، وبقيت المراكز بعد الثورة في أول الامر تعتمد في تعليم الكبار على المعلمين المحاضرين ، وبعد التوسع في فتح المراكز « وادخال أنماط جديدة من المناهج التي تتسم بالطابع المهني انضم اليهم : المرشدون الزراعيون ، ونظار التعاونيات ، والمدربون المهنيون ، والموظفون ، والعمال المتعلمون ، وخريجو الاعداديات ، وخريجات الفنون البيئية » (٣) وهكذا نرى أن من هؤلاء « من كان مؤهلاً لمحو الامية ومنهم من لم يكن مؤهلاً » (٤) لذا أصبحت الحاجة ماسة إلى اعداد المعلمين وتدريبهم على امور محو الامية وتعليم الكبار ، باعتبارها « مهنة يتلقى العاملون فيها تدريباً مهنيّاً متخصصاً » (٥) وبعد صدور نظام وزارة التربية الآنف الذكر تولت مديرية اعداد العاملين لمحو الامية العمل لتأهيل

(١) د. عامر الكبيسي المصدر السابق ص ٦٦٣ - ٦٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٦٦ .

(٣) بديع محمود مبارك القاسم ، اعداد وتدريب كوادر محو الامية ص ٤٢٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤٢٤ .

(٥) مجلة آراء في تعليم الكبار العدد السادس تشرين الاول ١٩٧٢ ص ٩٦ .

العاملين في هذا المجال ، وارتبط بها معهد التربية الاساسية (١) في ابني غريب ، وهو « يعد صورة متطورة لاعداد وتدريب كوادر محو الامية في القطر العراقي ومجالاً تركز فيه التجربة العراقية في هذا الميدان ، من خلال اسهامه وجهوده المثمرة لخلق الكادر المدرب القادر على الاضطلاع بمسؤولياته في انجاز برامج محو الامية » (٢) تأسس هذا المعهد سنة ١٩٧٠ ، واستمر حتى سنة ١٩٧٦ « حيث تخرجت فيه (٣٨) دورة تجاوز عدد المتخرجين فيها الثلاثة الآف متدرب (٣) من مختلف ارجاء القطر ومن كافة الدوائر والمؤسسات الرسمية والمنظمات المهنية والجماهيرية على اختلاف مواقعهم ، كما ضمت في احيان اخرى متدربين من اقطار شقيقة » (٤).

وفي سنة ١٩٧٦ بدأ المعهد المركزي لتدريب قيادات محو الامية ، وهو امتداد للمعهد السابق ، حيث تخرج فيه خلال السنتين الماضيتين حوالي (١٢٠٠) قيادي ضمن (١٦) دورة اقيمت فيه ، مدة الدورة مابين ٤ - ٥ اسابيع (٥) يتخرج الدارس فيها ليكون مشرفاً تربوياً مهمته الاشراف على مراكز محو الامية في القطر ، « ولقد وضع المعهد في خطته تدريب وحدات تأهيلية باعتماد طريقة الوحدات ، وكل وحدة تتألف من ثلاثة اشخاص ، يتخصص الاول باصول تدريس القراءة ومشكلة الامية والتنمية ، والثاني باصول تدريس الحساب والوسائل التعليمية ، والثالث بعلم نفس الكبار والادارة والمتابعة.

(١) تأسس هذا المعهد سنة ١٩٥٦ وكان معهداً زراعياً تابعاً لادارة المحلية ، ثم تحول سنة ١٩٦٠ إلى معهد لتخريج معلمي المدارس الابتدائية وفي سنة ١٩٦١ اصبح مركزاً للتدريب الوطني للتربية الاساسية ، وفي سنة ١٩٧٠ بدأ العمل فيه لاعداد العاملين في ميدان محو الامية وتعليم الكبار . (علي عبد الطالب ، معهد اعداد المعلمين ومهمة تدريب العاملين في ميدان محو الامية ص ٨٤٧) .

- (٢) عايف حبيب وجماعته ، التجربة العراقية لاعداد وتدريب كوادر محو الامية ص ٧٤٧ .
- (٣) جريدة الثورة في ١٩٧٨/١٢/٣٠ .
- (٤) عايف حبيب وجماعته ، المصدر السابق ص ٧٤٧ .
- (٥) تصريح مدير المعهد السيد عبد المنعم جاسم محمد لجريدة الثورة في ١٩٧٨/١٢/٣٠ .

وهذه الوحدات تقوم بتدريب المعلمين في مراكز المحافظات والاقضية والنواحي . ومن مهمات الوحدات ايضاً تدريب المعلمين في اماكن عملهم «(١)» وبهذه الخطة يتوفى العدد الكافي من المعلمين للقيام بحملة شاملة لمحو الامية .

٣ - مساهمة المنظمات الشعبية في محو الامية :

ان مشكلة الامية من المشكلات المستعصية التي لا بد حلها من تضافر الجهود ومساندة قوى الشعب مؤسسات الدولة المختصة ، ولما كانت الامية متفشية بصورة واسعة بين العمال والفلاحين والنساء - كما مر ذكر ذلك - فقد بات من الواجب ان تساهم المنظمات الشعبية والجهات التي لها اتصال بتلك القطاعات من الشعب ، فمن المساهمين في محو الامية « مؤسسة الثقافة العمالية التي انشئت سنة ١٩٦٤ وباشرت عملها الحقيقي سنة ١٩٦٨ ، وتمارس مهامها في محو الامية بين العمال ... وقد بلغ عدد المراكز التابعة للمؤسسة (٣٩٠) مركزاً منها (٢٥٠) مركزاً لمرحلة الاساس و (١٤٠) مركزاً لمرحلة التكميل ، وتدير هذه المراكز لجان نقابية ... وتضم هذه المراكز (١٠٥٨٦) دارساً ودارسة (٢)» كما تقوم وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي بانشاء مراكز محو الامية بين الفلاحين وخاصة في مناطق التعاونيات الزراعية ، وبلغ عدد مراكز محو الامية الفلاحية سنة ١٩٧٤ (٨٥١) مركزاً ضمت (٢٢١٦٧) دارساً موزعين على رئاسات المناطق الزراعية (٣) .

ويمارس الاتحاد العام لنساء العراق مهام محو الامية بين النساء في القطر من خلال جهاز السكرتارية المركزي الذي تساهم ممثلته بالهيئة العليا لمحو الامية في القطر ... ومما يجدر ذكره ان مراكز اتحاد النساء لمحو الامية مندمجة

(١) جريدة الثورة في ١٩٧٨/١٢/٣٠ .

(٢) د. نزار عبد اللطيف الحديثي وجماعته ، تقرير لجنة المناهج والكتب الدراسية للاميين في العراق ص ٦٩١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٩٥ .

مع المراكز التابعة لمديريات التربية ، كما ان قسماً من المحاضرات من منتسبات اتحاد النساء « (١) . وقد ساهم الاتحاد في التمهيد للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية عن طريق « الندوات التي عقدها في بغداد والمحافظات ، فقد ادت الى توجه النساء بشكل طوعي للانضمام إلى مراكز محو الامية ... ففي بغداد وحدها استطاع الاتحاد ان يهيء (٣٢) مركزاً لمحو الامية تشارك فيها (١٧) الف دارسة بالاستفادة من جهود المحاضرين الذين هياهم المجلس الاعلى لمحو الامية « (٢) .

٤ - تطور مفهوم محو الامية بين الامس واليوم :

ذكرنا انه لم يكن يوجه اي اهتمام الى الكتب التي كانت تدرس في مراكز مكافحة الامية في الامس . حيث كانت الكتب معدة لتعليم الاطفال ، فكان ذلك مدعاة خيبة امل الدارسين وقلة اهتمامهم وانصرافهم عن الدرس ، فلم يكن يقصد من المكافحة سوى محو الامية الأبجدية ، ثم طرأ تغير ملموس على محو الامية في الستينات فصار وظيفياً ، هدفه الوصول بالامي الراشد الى درجة جيدة واعداده لأن يكون مواطناً صالحاً منتجاً ومستهلكاً يتمكن من المساهمة في بناء المجتمع الأمثل وزيادة الانتاج ، وكان هذا « رداً حاسماً على فشل محو الامية التقليدي ، لأنه من الواضح ان لايقبل عدد كبير من الاميين على الالتحاق بصفوف الدراسة لانعدام الدوافع التي تدفعهم إلى التعلم او الاستمرار فيه ، بل ان الكثيرين ممن كانوا يقبلون في اول الأمر سرعان ما كانوا يفقدون اهتمامهم وينصرفون عن الدراسة ، اضافة إلى ان البرامج التقليدية كانت وما تزال موجهة إلى جميع فئات السكان دون تمييز بين صانع في مصنع الحلوى او مزارع في حقل او مستخدم في مستشفى او ربة منزل ... الخ « (٣) .

(١) د. نزار عبد اللطيف الحديشي ، المصدر السابق ص ٧.١ - ٧.٢ .

(٢) جريدة الثورة في ١٩٧٨/١١/٣ .

(٣) د. انيسة محمد المشي و د. ابراهيم خليل ، بحث المناهج والكتب الدراسية ص ٣٣٢ .

وتبعاً لتطور مفهوم محو الامية اليوم ، فقد اختلفت الكتب التي وضعت بعد الثورة باختلاف فئات الاميين واختلاف الجهات التي تقوم بمحو الامية « فقيماً يتعلق بوزارة التربية، فقد اصدرت الكتب التالية :

- أ - مرحلة الاساس : كتاب القراءة لمحو الامية الوظيفي للعمال .
كتاب القراءة لمحو الامية الوظيفي للفلاحين .
كتاب القراءة لمحو الامية الوظيفي للقوات المسلحة.
كتاب القراءة لمحو الامية الوظيفي لربات البيوت .
ب - المرحلة التكميلية : كتاب القراءة .

اما مؤسسة الثقافة العمالية فقد اصدرت قراءة العامل الجزء الاول . وقراءة العامل الجزء الثاني ، واصدر اتحاد الجمعيات الفلاحية : كتاب الفلاح وهو من اعداد الثقافة العمالية. ويستخدم في الحساب الكتاب المقرر في وزارة التربية... وهذا التنوع في الكتب يخدم مسألة التعليم الوظيفي ، وتطوير المهارة المهنية للمتعلم ويسهل عملية ربط ثقافته المهنية بالتطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للقطر . (١) وهذه الكتب جميعها الغيت بعد اتمام مهامها المرحلية الممهدة للحملة الوطنية الشاملة وحل محلها كتاب القراءة للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي (مرحلة الاساس) وكتب القراءة : للعمال وللنساء وللقات المسلحة ولللاحين (مرحلة التكميل) .

ان الملاحظ في هذه الكتب جميعاً ان مفرداتها مستقاة من بيئة الاميين الملزمين بالتعلم وقد روعي فيها مراحل نمو الدارسين المختلفة وخصائص عمرهم الزمني وملائمته مع استعدادهم وخبراتهم وميولهم واهتمامهم (٢) واما طريقة تدريسها فتتبع (الطريقة التوليفية) وهي تجمع بين الطريقة الكلية

(١) د. نزار عبد اللطيف الحديثي ، المصدر السابق ص ٧١٢ - ٧١٥ باختصار .

(٢) ينظر كتاب مؤتمر بغداد لمحو الامية الالزامي ص ٣٥ .

مع الجزئية (١) ، « فتبدأ بالكلمات ، كلمة او جملة ، وتنتقل إلى المقاطع والحروف ، ثم إلى استخدام هذه المهارات في تعرف وتركيب الكلمات الجديدة » (٢) وهي طريقة ناجحة كما اثبتت الدراسات الميدانية التي اظهرت تفوق تلاميذ الطريقة التوليفية على تلاميذ الطريقة الصوتية في القراءة (٣) والكتابة (٤) وفي التحصيل (٥) ككل بفرق ذي دلالة احصائية . والذي يهنا هنا هو الكتاب المقرر في الحملة الوطنية الشاملة لمرحلة الاساس ، فهو ايضا يتبع الطريقة التوليفية ، فقد بدأ بكلمة هي جملة (يزرع) و (راشد يزرع) « فوفر للمتعلمين جانب الشوق وجانب المعنى ، وبذلك انتفع الكتاب بأهم مزايا طريقة الكلمة وطريقة الجملة ، ثم يتدرج الكتاب من الجملة القصيرة نحو الجمل الطويلة ونحو التراكيب كلما ازدادت قدرة المتعلمين على القراءة » (٦) ، راشد فلاح يزرع ، فلاح يزرع في ريف ، كما نجد تكرار الكلمات مرات عديدة في الدروس مما يجعلها تثبت في ذهن القاريء ، كلما تدرج في الجمل ، ففي الدرس الاول نجد جملتين ، ثم تزداد الجمل كلما تقدم الدارس في درسه حتى تصل إلى أربع عشرة جملة كما في الدرس السادس والثلاثون . (٧) على أن مما يؤخذ على الكتاب ان واضعيه لم يحسبا للشدة حساباً في كلمة (فلاح) مع انها حرف ولا ادري كيف فات هذا عنهما .

- (١) طرق تعليم القراءة والكتابة تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين : مجموعة الطرق الكلية او التحليلية ، ومجموعة الطرق الجزئية او التركيبية ، وتشتمل الاولى على طريقة الحروف الهجائية [التي درست في الكتاب وفي مراكز مكافحة الامية في العهد الملكي] والطريقة الصوتية [التي تتبعها القراءة الخلدونية] والطريقة المقطعية ، كما تشتمل الثانية على طريقة الكلمات والجمل والقصة (تقرير لجنة المناهج والكتب ص ٧١٧) .
- (٢) د. نزار الحديثي وجماعته ، المصدر السابق ص ٧١٨ .
- (٣) تقويم الطريقة التوليفية ص ٣٧ .
- (٤) المصدر نفسه ص ٣٨ .
- (٥) المصدر نفسه ص ٣٨ .
- (٦) مرشد المعلم لكتاب القراءة ص ١٦ - ١٧ .
- (٧) كتاب القراءة للحملة الوطنية الشاملة ص ١١١ - ١١٢ .

ثم نجد الكتاب قد اهتم بالتدريبات ، «بتحليل الكلمات تحليلاً صوتياً لتمييز اصوات الحروف وربطها برموزها ... فقد بدأ بعملية التحليل الصوتي أي تمييز اصوات الحروف من صفحة ١٢ حيث يبدأ بتعليم الحرف ر وهو حرف له صورتان في الرسم : الراء المتصلة والمنفردة ، ثم ثنى بالحرف ف(١) ، وهو حرف له أربع صور وكان الاوفق لو أتيا بحرف مماثل للراء كالذال مثلاً ، ولكن الواضعين تلافياً لذلك اذ جعلوا للفاء صورتين ف وف ، وانتفع الكتاب من مزايا الطريقة الصوتية بتعليم اصوات الحروف جميعها واشكالها والحركات ، واستبعد عيوبها بتركيب الجمل من الكلمات ، وبتركيب الكلمات من الحروف والمقاطع (٢) . وعليه فالكتاب جاء ملائماً تمام الملائمة للدارسين من الاميين ومتصلاً تمام الاتصال بحياتهم اليومية ومتفقاً مع ميولهم ورغباتهم ، وهو بالتالي يخدم اغراض التنمية في القطر العراقي .

الحملة الوطنية الشاملة :

ان الجهود الحميدة التي مر ذكرها كانت الارهاصات الاولى للقيام بحملة وطنية شاملة للقضاء على الامية ، فهي على اهميتها لم تكن لترضي طموح القيادة السياسية للحزب والثورة ، التي رأت - رغم كل الجهود التي بذلت والتطورات التي حدثت في مكافحة الامية - ان محو الامية اذا سار على هذا المنوال لا يقضي على الامية قضاءً تاماً ، « فان تجارب الشعوب قد اكدت حقيقة ملموسة وهي ان الاساليب الكلاسيكية في محو الامية لا يمكن ان تحل هذه المسألة حلاً جذرياً ، ولا بد من القيام بحملة وطنية يقودها الحزب وتشارك فيها المنظمات الشعبية الكبرى ومؤسسات الدولة المختصة للقضاء على الامية قضاءً مبرماً خلال برنامج زمني محدد » (٣) وتجسيدا لصيغة العمل التي حددها المؤتمر القطري الثامن في المرحلة القادمة ، عقد مؤتمر بغداد لمحو الامية الالزامي للفترة من ٨-١٥ أيار سنة ١٩٧٦ ، وقد استهدف المؤتمر

(١) كتاب القراءة للحملة الوطنية الشاملة ص ١٤ .

(٢) ينظر مرشد المعلم ص ١٧ .

(٣) التقرير السياسي ص ١٥٦ .

وضع استراتيجية متكاملة (كماً ونوعاً) لحملة وطنية شاملة لمحو الامية وفق بدائل متعددة ذات سقف زمنية محددة (١) وقد جاء القانون رقم ٩٢ لسنة ١٩٧٨ (قانون الحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي) متوجاً كل تلك الجهود الحميدة في محو الامية التي بدأت بقيام ثورة السابع عشر من تموز ، ومنسجماً مع خطة القيادة السياسية في هذا المجال ، وموصلاً أبناء العراق إلى النهاية السعيدة التي طالما كانوا يتوقون اليها ، الا وهي القضاء على الامية والانتصار على الجهل في القطر العراقي ، ومن يقرأ القانون يجده قد أوفى على الغاية التي وضع من اجلها ، فقد بدأ بالتعريف بالامي (٢) وهو كل مواطن تجاوز الخامسة عشرة ولم يتعد الخامسة والاربعين سنة من العمر ولا يعرف القراءة والكتابة ولم يصل الى المستوى الحضاري «ثم بين المقصود بالمستوى الحضاري «ان يملك الفرد مهارات القراءة والكتابة والحساب على أن تكون هذه المهارات وسيلة لتطوير مهنته ورفع مستوى حياته ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً» . ثم نص على تأسيس مجلس اعلى للحملة يكون مقره في بغداد ويرتبط بوزير التربية ، ويكون الوزير رئيسه ، (٣) ويهدف هذا المجلس الى تنفيذ ماورد في التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي فيما يتعلق بالقضاء على الامية في العراق عن طريق حملة وطنية شاملة بقيادة الحزب تشترك فيها المنظمات الشعبية والقوات المسلحة ومؤسسات الدولة المختصة ، كما نص على تأليف مجلس محلي في كل محافظة يكون المحافظ رئيسه ، ويرتبط بالمجلس الاعلى ، (٤) وتأليف مجلس محلي في كل قضاء يكون القائم مقام رئيسه ويرتبط بمجلس المحافظة التابع لها القضاء ، وتأليف مجلس محلي في كل ناحية يكون مدير الناحية رئيسه ، ويرتبط بمجلس القضاء التابعة له الناحية . (٥)

(١) كتاب مؤتمر بغداد لمحو الامية الالزامي ص ١١٠ .

(٢) المادة الاولى .

(٣) المادة الثالثة .

(٤) المادة العاشرة .

(٥) المادة الثانية عشرة .

والميزة التي يتميز بها القانون هي اتخاذها مبدأ الثواب والعقاب وسيلة من وسائل تطبيقه لانجاح الحملة ، فقد نص (١) على وضع قواعد منح الجوائز والمكافآت والاوزمة والالقباب للافراد والمراكز لقاء الخدمات الممتازة التي تؤدي الى انجاح الحملة، كما نص(٢) على تخويل المجلس الاعلى والمجالس المحلية لمحو الامية منح جوائز ومكافآت مالية تشجيعية للفائقين من الدارسين واقامة مهرجانات شعبية تكريماً للمتخرجين، ومعاقبة كل امي يتراوح عمره بين الخامسة عشرة والخامسة الاربعين لا يلتحق بصفوف محو الامية عند تنفيذ القانون (٣) الذي نصت مادته الحادية والثلاثون على تنفيذه من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية « وقد نشر في الوقائع العراقية العدد ٢٦٥٦ الصادر بتاريخ ٢٩ / ٥ / ١٩٧٨ م . (٤) ويزيد من أهمية هذه الحملة وتصميم القيادة السياسية على انجاحها أن يتولى قيادتها السيد رئيس الجمهورية المهيب أحمد حسن البكر، بقرار مجلس قيادة الثورة في جلسته المنعقدة بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٧٨ ، ويكون السيد وزير التربية نائباً لقائد الحملة ، ويعهد إلى السادة أعضاء القيادة القطرية والوزراء مسؤولية الاشراف على تنفيذ ومتابعة تطبيق خطة الحملة .

وكان يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٩٩ هـ ، الاول من كانون الاول سنة ١٩٧٨ يوماً له مابعده ، وسيخلده تاريخ العراق الحديث في صفحاته المشرقة ، فقد قامت مسيرة النور لمحو الظلام ، حيث بدأت الحملة الشاملة لمحو الامية وازالة هذه الوصمة من على جبين العراق ، فقد طال أمد مكافحتها زهاء نصف قرن ، عجزت الجهود السابقة عن محوها في الأمس ، فقد توجه في اليوم التالي (السبت ١٢/٢) « مليون دارس ودارسة إلى مقاعد الدرس في مختلف مراكز محو الامية في مختلف مناطق القطر ، والبالغة تسعة آلاف مركز ، كما توجه (١٥٠) ألف معلم ومعلمة لالقاء الدروس

(١) الفقرة ح من المادة الرابعة .

(٢) البند الخامس من المادة الرابعة عشرة .

(٣) المواد ١٧ و ١٨ و ١٩ من القانون .

(٤) مجلة المعرفة العدد الاول ، ايلول ١٩٧٨ ص ٣٤ .

المخصصة على هذا الحجم الغفير من الدارسين ، وبأشرف أكثر من ألف مشرف ومشرقة عملهم في متابعة برامج الحملة في مختلف المراكز التعليمية . (١) وكان من المقرر أن تنتهي الحملة في الأول من أيلول سنة ١٩٨٠ حيث سيعلن في التاريخ المذكور خلو القطر من الامية ، غير أن السيد وزير التربية اتخذ قراراً باختصار الفترة الزمنية المحددة لمحو الامية من ٣٦ شهراً إلى ٢١ شهراً ، أي أن الحملة ستنتهي قبل موعدها بسنة وثلاثة أشهر . وذلك للاقبال الكبير على مراكز محو الامية منذ بدء الحملة رسمياً في الأول من شهر كانون الأول كما ذكرنا ، حيث أن الحملة ستقتصر على وجبتين من الدارسين بدلاً من خمس وجبات ، وتقرر أن يتم استيعاب جميع الاميين في زمن أقصاه شهر نيسان ١٩٧٩ بحيث لن يكون بعد الشهر المذكور واحد من المشمولين بقانون محو الامية خارج مراكز الدراسة (٢) .

وبذلك ستطوي صفحة سوداء سجلت جهل شعبنا العريق وتحلفه في القرون الماضية بتقصير حكامه ومتولّي اموره ، ليفتح الشعب صفحة غراء من العلم والمعرفة والتقدم الحضاري بقيادة حكومة وطنية تشعر أنها من الشعب وإلى الشعب ..

(١) تنظر جريدة الثورة العدد ٣١٧٧ في ٣٠/١١/١٩٧٨ .

(٢) تنظر مجلة الف باء العدد ٥٣٦ في ٣/١/١٩٧٩ .

مصادر البحث

- ١ - أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث : ستيفن هيمسلي لوندكريك. نقل :
جعفر خياط (ط ٢) سنة ١٩٤٩ .
- ٢ - اعداد وتدريب كوادر محو الامية : بحث من اعداد بديع محمود مبارك
القاسم (ضمن كتاب مؤتمر بغداد لمحو الامية الالزامي ، اصدار وزارة
التربية سنة ١٩٧٦ ص ٤١١ - ٤٣٧) .
- ٣ - اعلام اليقظة الفكرية في العراق ، الجزء الاول : ميربصري ، اصدار
وزارة الاعلام بدون تاريخ .
- ٤ - الامية هي الداء . مقال لفؤاد جميل ، جريدة الزمان العدد ٤٨٤٣ في
٢٧ / ٩ / ١٩٥٣ .
- ٥ - انجازات وزارة التربية في العام الخامس لثورة ١٧ تموز ، اصدار وزارة
التربية بغداد ، بدون تاريخ .
- ٦ - انجازات وزارة التربية في العام السادس لثورة ١٧ تموز ، اصدار
وزارة التربية ، بغداد بدون تاريخ .
- ٧ - انماط الحياة الاجتماعية في العراق بين الامية الالجزدية والامية الحضارية :
بحث من اعداد د. علاء الدين جاسم محمد (ضمن كتاب مؤتمر بغداد لمحو
الامية الالزامي ص ٣١٥ - ٣٣٠) .
- ٨ - بحث المناهج والكتب الدراسية لتحقيق اهداف الحملة الوطنية الشاملة
لمحو الامية : اعداد د. أنيسة محمد حسن المنشيء ود. ابراهيم خليل شهاب
(ضمن كتاب مؤتمر بغداد ص ٣٣١ - ٣٥٣) .
- ٩ - برجة المواد التعليمية لمحو الامية وتعليم الكبار : د. محاسن رضا أحمد ،
القاهرة ١٩٧٢ .
- ١٠ - بغداد القديمة : عبدالكريم العلاف ، (ط ١) مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٠ .

- ١١ - تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٩١٧ :
عبدالرزاق الهلالي (ط١)، بغداد ١٩٥٩ .
- ١٢ - تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩٢١ :
عبدالرزاق الهلالي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٥ .
- ١٣ - تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي : د. فاضل حسين ، مطبعة الشعب،
بغداد ١٩٦٣ .
- ١٤ - التجربة العراقية لاعداد وتدريب كوادر محو الامية : بحث من اعداد
عايف حبيب وآخرون (ضمن كتاب مؤتمر بغداد ص ٧٢٧ - ٧٥٨)
- ١٥ - التسرب في التعليم : حكمت عبدالله البراز وجانيت خضر بني ، وزارة
التربية بغداد ١٩٧٥ .
- ١٦ - تطور العراق تحت حكم الاتحاديين : فيصل محمد الارجيم ، الموصل
١٩٧٠ .
- ١٧ - التعليم الابتدائي في المدن والارياف : بحث من اعداد : حسن أحمد
السلمان. مجلة المعلم الجديد . الجزآن ٦ و٥ / تموز ١٩٤٩ .
- ١٨ - التعليم في دور الاحتلال والحكومة الوقتية ١٩١٥ - ١٩٢١
بحث من اعداد: حسن احمد السلمان مجلة المعلم الجديد الجزآن ٦ و٥/
تموز ١٩٤٩ .
- ١٩ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٣٠ / ٢٩ - ١٩٣٣ / ٣٢ ،
اصدار وزارة المعارف ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٣٤ .
- ٢٠ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٣٤ / ٣٣ ، اصدار وزارة
المعارف، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٣٥ .
- ٢١ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٣٥ / ٣٤ - ١٩٣٦ / ٣٥ ،
اصدار وزارة المعارف ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٣٧ .
- ٢٢ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٠ / ٣٩ - ١٩٤٣ / ٤٢ ،
اصدار وزارة المعارف ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٤ .

- ٢٣ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ٤٥ / ١٩٤٦ ، اصدار وزارة المعارف ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٧ .
- ٢٤ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ٤٦ / ١٩٤٧ ، اصدار وزارة المعارف ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٨ .
- ٢٥ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ٤٧ / ١٩٤٨ ، اصدار وزارة المعارف ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٩ .
- ٢٦ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ٥٢ / ١٩٥٣ ، اصدار وزارة المعارف ، مطبعة السعدي ، بغداد ١٩٥٤ .
- ٢٧ - التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ٥٧ / ١٩٥٨ ، اصدار وزارة التخطيط ، مديرية الاحصاء العامة ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٥٩ .
- ٢٨ - التقرير السنوي ، الاحصاء التربوي ١٩٦٢ / ١٩٦٣ اصدار مديرية الشؤون الفنية بوزارة التربية ، بغداد .
- ٢٩ - التقرير السنوي ، الاحصاء التربوي ١٩٦٤ / ١٩٦٥ اصدار مديرية الشؤون الفنية بوزارة التربية ، بغداد .
- ٣٠ - التقرير السنوي ، الاحصاء التربوي ١٩٦٥ / ١٩٦٦ اصدار مديرية الشؤون الفنية بوزارة التربية ، بغداد .
- ٣١ - التقرير السنوي ، الاحصاء التربوي ١٩٧١ / ١٩٧٢ اصدار مديرية الشؤون الفنية بوزارة التربية ، بغداد .
- ٣٢ - التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ، بغداد ، كانون الثاني ١٩٧٥ .
- ٣٣ - تقرير لجنة دراسة الهياكل والتنظيمات الادارية للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية . بحث من اعداد د. عامر الكبيسي وآخرون (ضمن كتاب مؤتمر بغداد ص ٥٢٩ - ٦٤٤) .

- ٣٤ - تقرير لجنة المناهج والكتب الدراسية للاميين في العراق : بحث من اعداد: د. نزار عبد اللطيف الحديثي وآخرون (ضمن كتاب مؤتمر بغداد ص ٧١١ - ٧٢٥) .
- ٣٥ - تقويم الطريقة التوليفية في تعليم القراءة والكتابة للمبتدئين : د. ابراهيم مهدي الشبلي وعبد المحسن خلوصي الناصري ، اصدار المديرية العامة للمناهج والوسائل التعليمية ، بغداد ١٩٧٨ .
- ٣٦ - التكامل بين حملات محو الامية والتعليم النظامي في اطار التعليم المستمر مدى الحياة . بحث من اعداد: د. مسارع الراوي (ضمن كتاب مؤتمر بغداد ص ٢٥٩ - ٢٧٨) .
- ٣٧ - تناقص الطلاب بين الصف الأول والسادس. بحث : د. متي عقراوي. مجلة المعلم الجديد ، العدد ٢/مايس ١٩٣٧ .
- ٣٨ - جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨ - ١٩٤٥ . عبد الرزاق عبد الدراجي . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، في شباط ١٩٧٦ .
- ٣٩ - جولة في كتب تعليم اللغة العربية بحث : د. جميل سعيد ، مجلة المعلم الجديد الجزآن ٥ و٦/تموز ١٩٤٩ .
- ٤٠ - دراسة عن استراتيجية جديدة مقترحة لمحو الامية في العراق. بحث من اعداد: د. عبد العزيز البسام (ضمن كتاب مؤتمر بغداد ص ١٧١ - ٢٣٨) .
- ٤١ - الدولة والتعليم : حسن الدجيلي بغداد ١٩٦٦ .
- ٤٢ - صفحات مشرقة من تاريخ مكافحة الامية في كردستان: شاکر فتاح . مجلة الحكم الذاتي العدد ٥ في ١٩٧٨ .
- ٤٣ - طريقة تعليم الالفباء: ساطع الحصري ، (ط ٢) المطبعة ، السلفية بمصر ١٩٢٣=٥١٣٤٢ م.

- ٤٤ - العراق دراسة في تطوره السياسي : فيليب ويلارد آيرلاند . نقل :
جعفر خياط ، بيروت ١٩٤٩ .
- ٤٥ - العراق قديماً وحديثاً : عبد الرزاق الحسيني (ط٢) مطبعة العرفان،
صيدا ١٩٥٨ .
- ٤٦ - فصول من تاريخ العراق القريب : المس بيل . ترجمة : جعفر
خياط (ط٢) بغداد ١٩٧١ .
- ٤٧ - كتاب القراءة للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي (مرحلة
الاساس) : نائل محمود السعيدى وجاسم محمود الحسون (ط٢) ١٩٧٨ .
- ٤٨ - كتاب مؤتمر بغداد لمحو الامية الالزامي ٨ - ١٥ أيار ١٩٧٦
« التقرير النهائي والتوصيات ومجموعة البحوث الميدانية » اصدار
وزارة التربية ، بغداد ١٩٧٦ .
- ٤٩ - لسان العرب : ابن منظور، دار صادر . دار بيروت ، ١٣٧٥هـ =
١٩٥٦م .
- ٥٠ - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (الجزء الثالث) : د.
علي الوردي بغداد ١٩٧٢ .
- ٥١ - مبادئ القراءة الخلدونية : ساطع الحصري، (ط ٢) المطبعة السلفية
بمصر سنة ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣ و (ط ١٦) المنقحة ، بغداد ١٩٧٦ .
- ٥٢ - مبادئ. القراءة الرشيدة : محمد عبيد، (ط ٧) مصر سنة ١٣٤٣هـ
= ١٩٢٥ م .
- ٥٣ - المتغيرات الحاكمة في حملة محو الامية. التخطيط الزمني. اعداد .
نجيب اسكندر (ضمن كتاب مؤتمر بغداد ص ٤٨٧ - ٥١٣).
- ٥٤ - محو الامية بين الماضي والحاضر: عبد الحميد العلوجي. مجلة
المعرفة. العدد الثاني/تشرين الاول ١٩٧٨ .

- ٥٥ - محو الامية .. البداية والانطلاقة الشاملة : ابراهيم خليل . جريدة الجمهورية العدد ٣٤٥١ في ١٦ كانون الاول ١٩٧٨ .
- ٥٦ - محو الامية في التراث العربي : د . أحمد حسن الرحيم . مجلة المعرفة العدد الثاني / تشرين الاول ١٩٧٨ .
- ٥٧ - محو الامية الوظيفي : دراسة في القطاع الصناعي : صلاح الدين الشبخلي ، بغداد ١٩٧٠ .
- ٥٨ - مذكرات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي (ط١) بيروت ١٩٧٠ .
- ٥٩ - مذكراتي في العراق ١٩٢١ - ١٩٤١ : ساطع الحصري (ط١) بيروت ١٩٦٧ .
- ٦٠ - مرشد المعلم لكتاب القراءة للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي (مرحلة الاساس) جاسم محمود الحسون ونائل محمود السعيد .
- ٦١ - مشكلة الامية في الاقطار النامية : علي عبد الطالب ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٩٧٢ .
- ٦٢ - مشكلات التعليم الابتدائي وانعكاساتها على مشكلة الامية في الوطن العربي : اصدار الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، كانون الاول ١٩٧٦ .
- ٦٣ - معهد اعداد المعلمين للتربية الأساسية ومهمة تدريب العاملين في ميدان محو الامية وتعليم الكبار : اعداد علي عبد الطالب (ضمن كتاب مؤتمر بغداد ص ٨٤٣ - ٨٨٢) .
- ٦٤ - ملوك العرب (الجزء الثاني) : امين الريحاني ، المطبعة العلمية ، بيروت ١٩٢٩ .
- ٦٥ - ميثاق العمل الوطني : اصدار وزارة الاعلام (السلسلة الوثائقية ١٦) سنة ١٩٧١ .

٦٦ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة : ابن بسام المحتسب ، تحقيق : حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ .
وهناك مصادر اخرى . لم نذكرها مكتفين بذكرها في هوامش البحث .
الجرائد والمجلات :

- ١ - جريدة الثورة (الاعداد الصادرة سنة ١٩٧٨)
- ٢ - جريدة الجمهورية (الاعداد الصادرة سنة ١٩٧٨)
- ٣ - جريدة العراق (الاعداد الصادرة سنة ١٩٣٤)
- ٤ - جريدة لسان العرب (الاعداد الصادرة سنة ١٩٢١)
- ٥ - مجلة الف باء العدد ٦٣٥ في ١٣/١/١٩٧٩ .
- ٦ - مجلة آراء في التعليم الوظيفي للكبار ، اصدار المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، سرس الليان ، المنوفية مصر
الاعداد ٢-٧ سنة ١٩٧٤/٧١ .
- ٧ - مجلة المعرفة اصدار المجلس الاعلى للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي الاعداد ١-٣ سنة ١٩٧٨ .
- ٨ - مجلة المعلم الجديد اصدار وزارة المعارف (اعداد مختلفة من سنة ١٩٣٧ - ١٩٥٠)